الطبعة 3

PUZZLE المُرَبِّي



كيف نربي في الزمن الحديث؟

12 قاعدة مبسطة ومبتكرة

تأليف
عبدالمحسن العصفور

تقديم
د. إبراهيم الخليفي
د. طارق الحبيب

مكتبـــة آفـــاق

PUZZLE

المُرَبِّي

PUZZLE

المُرَبِّي

كيف نربي في الزمن الحديث؟

١٢ قاعدة مبسطة ومبتكرة

تأليف

عبدالمحسن العصفور

تقديم

د. إبراهيم الخليفي

د. طارق الحبيب

مكتبة آفاق

مكتبة آفـاق 2015 م

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

306.850 العصفور، عبد المحسن يوسف عبد المحسن.

المربي (puzzle) / عبد المحسن يوسف عبد المحسن العصفور . -
ط1 .- الكويت : آفاق للنشر والتوزيع، 2013

138 ص؛ 17 X 24 سم.

ردمك: 4 - 58 - 59 - 978-99966

1. التنشئة الاجتماعية.

2. تربية الأبناء. أ. العنوان

رقم الإيداع

2013 / 471

ردمك: 4 - 58 - 59 - 978-99966

الطبعة الأولى: 1435 هـ / يناير 2014 م

الطبعة الثالثة: 1436 هـ / مارس 2015 م

مكتبة آفـاق

Tel.: +965 22256147 - Fax : +965 22256142
P.O.Box: 20585 Safat - Postal Code: 13066 Kuwait
Info@aafaq.com.kw
www.aafaq.com.kw

بسم الله الرحمن الرحیم

الإهداء

طوال سنة ونصف، وأنا أعاني أشد العناء عند التفكير في صياغة صفحة الإهداء، ففي كل مرة أفتح فيها هذه الصفحة لأكتب (عنها ولها) أجد الكلمات تهرب .. تتطاير .. تختفي .. وكلمات أخرى تعتذر .. تخجل .. لتزاحمها في كلمة تكتب (عنها ولها) .. !

لا غرابة .. فمن ذا الذي كتب (عنها ولها) وأحسن الوصف؟ وأجاد التعبير؟ وأطلق البيان؟ وسحر الأذهان؟ لا أحد أبداً! هنا عرفت أنه كلماتي وجملي لن تفي فضلها علي، فإذا بنفسي ترتاح وضميري يسكت .. فتذكرت شيئاً واحداً فقط .. فكتبت :

يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك. قلت: ثم من؟ قال: أمك. قلت: ثم من؟ قال: أمك ..

فإليك :

أمي : الغالية
أمي : الفريدة
أمي : المربية

أهديك أنتِ (فقط) .. هذه الصفحات !

تـقـديـم

كلما ادلهمت الخطوب، وازدادت الكروب تطلعت الأمم إلى المربين تسآئلهم أين الدروب؟ أين درب إعادة اكتشاف الذات واستخراج كنوزها .. أين درب الارتقاء بالعلاقات بكافة مستوياتها .. أين درب حشد الذوات لتنتج أفضل ما لديها فتُنهضنا ..

المربي هو حامل المشعل، ورائد الركب، ومسعر الحرب .. هو المؤتمن على توصيل الثقافة المرتضاة للأجيال .. وهو لتطوير آليات النهضة ... معقد الآمال ..

لذا كان هذا الجهد من الكاتب المبدع المجتهد الأستاذ عبدالمحسن العصفور بالنسبة لي بارقة من بوارق الأمل التي أراها تزداد في هذه المنعطف التنموي لوطننا ولأمتنا، ففيه طرح تربوي عملي من مدرس مبدع أتقن وسائل الشرح والإفهام، وفيه فكر تجديدي ييسر مهام اصطناع الجيل تشحن قارئه بالإلهام. وفيه آمال عظام ينقشع معها، بإذن اللهّ تعالى، ما نعانيه من الجدب والآلام.

إن هذا الكتاب ـ بألغازه الإثنا عشر ـ مفيد للغاية لمن أراد أن يزيد من أدواته التعليمية .. وفيه صب المؤلف تجربته الإبداعية في تعليم النشء في مدرسة عالمية ثنائية .. فكان النتج طيباً لمن ارتقى بهمة لعيش زمانه واستقامة طريقته الخلقية والدينية ..

أشكر للمؤلف إسهامه الإبداعي هذا .. وأسأل اللهّ أن ييسر له نشره بين التربويين وعموم المهتمين .. لينال حظاً من شرف النهوض بنا في هذه المرحلة التي تحتاج إلى فك ألغازها ..

د. إبراهيم الخليفي

أثبت المبدع عبدالمحسن العصفور أن العلم لا يقف عند حد الإضافة إليه بل إن التجديد في طريقة الطرح هي علم أخر

د. طارق الحبيب

مــقــدمــة

أعاني كثيرا عندما تطلب مني إدارة المدرسة أن أقنع طالباً ارتكب مخالفة سلوكية بأن ما فعله غير صحيح، ربما يصل الحال إلى اعترافه ومجاملته لي من باب احترامه ولكن أن يصل الحال لدرجة الاقتناع منه فهذا يحتاج لجهد جهيد وفن في الإقناع! فنحن نعيش في زمان متناقض. فرغم كثرة أدوات الإقناع والتأثير من وسائل الاتصال والتلفاز والإنترنت وغيرها... إلا أنّ إقناع الأبناء بما هو خير لهم صعب وغير يسير كما هو متصوّر من قبل بعض المربّين. ولو جاز لي أن أوضح ماهيّة التربية لقلت إنها في كلمتين فقط هما:

١ معلومة
٢ ووسيلة

تفكر عزيزي القارئ وانظر إلى كيفية تربيتك لمن حولك في هذا الزمن ستجد أن تركيزك وجهدك منصبّان في الجزئية الأولى وهي (المعلومة) وإهمال الجزئية الثانية (الوسيلة) إهمالاً كبيراً . ومثال على ذلك: **(عندما تريد تربية أحد أبنائك على فضيلة الصدق نجد أن هذا المربي يركز أكثر على معلومة الصدق ويكتفي بالجلوس مع المُتَربي وإخباره بأن عليه تطبيق هذه الفضيلة دائماً..)** ويقف هنا على اعتبار أنّه أدى مسئوليته!

هنا نجد أنّ المعلومة ممتازة وقيِّمة، لكنَّ الوسيلة المستخدمة لا ترتقي نهائياً مع زمن كثرت فيها الفتن وتسويق السلوكيات السلبية واللاأخلاقية من قبل كثير من وسائل الإعلام ورفاق السوء بطريقة مغرية جداً.

وعلى ذلك أجد أن المربين ثلاثة أصناف، **صنف** لا يبذل جهداً ووقتاً في تربية من حوله وهو بذلك لا يراعي حديث الرسول صلى اللّه عليه وسلم : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.» **وصنف آخر** يبذل جهداً ووقتاً كبيرين لكن من دون علم، فهو يستخدم معلومات قيِّمة لكن دون الوسيلة الصحيحة، وأحياناً هذا الصنف من المربين يسبب أزمات أكبر وأخطر من الصنف الأول فقد يولّد لدى المُتَربي كرهاً وبغضاً لهذه المعلومة القيمة بسبب استخدام وسيلة غير صحيحة أو ربما كان الإلزام والعقاب هو وسيلة المربي الدائمة والوحيدة .

والصنف الثالث وهو المتميز والراعي لحقوق الرعية، هو الذي يستخدم أساليب إبداعية ومتنوعة مع من حوله على حسب المعلومة، وأعمارهم، والبيئة المحيطة بهم، وهذا الصنف هو الصحيح والعصري في عملية التربية، **فالمعلومات والقيم الحميدة متوفرتان وجميلتان لكننا نقبحها كثيراً بسوء وسيلتنا، وأحياناً نزيدهما جمالاً بجمال الوسيلة المستخدمة مع أبنائنا.**

تخيّل معي:

اشتريتَ هدية (ساعة يد فخمة) بسعر ١٠٠٠٠ د.ك وقمت بإحضار مجموعة من أوراق الصحف اليومية وغلّفت بها الساعة وأهديتها لصديق عزيز عليك، فهل تتوقع منه أن يتصور أن ما بداخل هذه اللفافه ساعة يد سعرها ١٠٠٠٠ د.ك؟! أجزم أن الإجابة ستكون «لا»، وأجزم أكثر أنك لن تفعلها وتقدّم الهدية بهذا الشكل، لكنّ الغريب أننا نستخدم هذه الطريقة يومياً خلال تعاملنا مع عقول وقلوب أبنائنا، فنحاول غرس المعلومات الثمينة فيهم لكن بوسائل عقيمة تشوه جمال المعلومة!

في هذا الكتاب حرصت أن أقدم لك ١٢ قاعدة على شكل لعبة الـ Puzzle الشهيرة بطريقة مبسطة ومبتكرة، لأنني أشبه هذه اللعبة بعملية التربية، والتشابه هنا: أن لوحة الـ Puzzle لن تظهر بصورتها الجميلة المتكاملة إلا بعد اكتمال كل القطع في اللوحة، إضافة إلى وجوب وضع كل قطعة بمكانها الصحيح، فلو قمنا بوضع قطعة واحدة فقط في غير مكانها، فسندمر اللوحة بالكامل.. كذلك هي التربية، فعندما نربي أبناءنا، علينا أن نزرع كل القيم والمفاهيم الصحيحة في عقولهم، إضافة إلى وجوب أن تكون هذه القيم والمفاهيم مغروسة بالشكل والوسيلة الصحيحين اللتين تناسبان أعمارهم واهتماماتهم والبيئة المحيطة بهم.

فالأبناء هم الثروة الحقيقية لأي نهضة، فعندما تجد مجتمعاً ناجحاً . فتيقّن أنّ السبب الرئيسي هو تميز شبابها رجالاً ونساءً، **فلقد أشار تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٢ أنّ دور تنمية البشر وتعزيز أدوارهم في الدولة ومؤسساتها هو الأكبر مقارنةً مع العنصر المادي والطبيعي في تشكيل ونمو الدول المتطورة، فالتنمية تعتمد أساسا على أنها ''تنمية الناس، ومن قبل الناس، ومن أجل الناس'' ***

ولن نستطيع الوصول لهذه المرحلة إلا بتمكين الإنسان وإعطائه حقه بدءً من البيت وذلك بحُسن تربيتنا له.

وقبل أن نبدأ رحلتنا في تركيب القطع الإثنا عشر.. آمل أن تجد الإجابة على هذا السؤال الجوهري عند انتهائك من قراءة هذا الكتاب، والسؤال هو :

كيف تربي في الزمن الحديث؟

وأسأل اللّه تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل علماً نافعاً لكل قارئ له، وعملاً متقبلاً لي، فإن كان من خير فيه فمن اللّه وحده، وإن كان من تقصير ونقص فمن نفسي ومن الشيطان.

---

* تقرير التنمية ص٨



(ومضة)

"هناك اكتشافان إنسانيان يحق لنا اعتبارهما أصعب الاكتشافات، هما: فن حكم الناس، **وفن تربيتهم**"

الفيلسوف الألماني ـ إيمانويل كانت

القطعة الأولى: كل إناء بما فيه ينضح

لن تتحرك السيارة من مكانها إلى وجهتها إلا بعد ملء الخزان، ولن تشرب شيئاً يروي عطشك إلا بعد ملء الكوب بالماء، فلا السيارة تنفع من غير الوقود ولا ذلك الكوب سيطفئ لهيب عطشك إلا بعد ملئه، هذه مسلّمات نعيشها يومياً في حياتنا لا يختلف عليها اثنان، اخترت منها كأمثله شيئين وهنالك الكثير.

فالعقل هو ذلك المركب والكوب الذي بحاجة لملئه بالمعلومات والأفكار لكي يَحيا ويكون صالحاً للاستخدام، أقولها وللأسف إنّ ٨٠٪ من مشاكلنا في تربية من حولنا تكمن في عدم امتلاكنا الوسيلة المناسبة والصحيحة التي نربي بها الأبناء، فأغلب مشاكل وأزمات البيوت سببها شُح في شريحة المربين الذين يجب أن يتصفوا بالوعي والثقافة وأنهم باختصار نماذج لمن حولهم.

ونلاحظ أنّ انتشار تربية الإلزام والقهر التي وصفها **الدكتور مصطفى حجازي** بـ "**فقدان سيطرة الإنسان على مصيره**"* هو دليل واضح على أن التربية قائمة داخل الأسر على وسائل غير صحيحة، فتوسُع هذه التربية الخطيرة الخاطئة ليس دليلاً على وجود فكر قائم لها كتبه المختصون في التربية! فهي لم توجد منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولا حتى قبله أو بعده، فعدم وجود المعلومة والفكر الصحيح في عقل المربين سينتج عنه لا محالة تربية فرعونية قائمة على فكرة ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾، **والشيءُ بالشيءِ يذكر: كثيراً ما أُسأل من طلبتي عن نصيحتي لهم في التخصص الجامعي.. وهذا السؤال يجعلني أغضب منهم وليس بسبب طلبهم مني لتوجيههم، فهذا مطلب مهم ولكن غالبيتهم يأتوني ولم يكوّنوا لهم رأياً خاصاً عن التخصص المحبب لهم، وبدوري هنا دائما أبدأ نصيحتي لهم بأن يبحثوا هم في البداية عن ما يريدون ومن ثم يأتوني، لأنني أريد بذلك تربيتهم على تحمل مسؤولية حياتهم والمضي قدماً في سبيل تكوين وجهة نظر ورأي خاص بهم حتى لا يكونوا مستقبلاً إمّعةً يُقادون ولا يَقودون!**

---

* الإنسان المهدور ص ٤٢

الآن، لو طلبت منك أيها المربِّي أن تتخيل نفسك في اختبار مصيري، وعدم إجابتك على هذه الأسئلة إجابة صحيحة سينتج عنها خسارتك لحياة ابنك، الآن وفي هذه اللحظة!! أمامك الورقة وفيها ٥ أسئلة ... فكيف ستجيب عليها؟

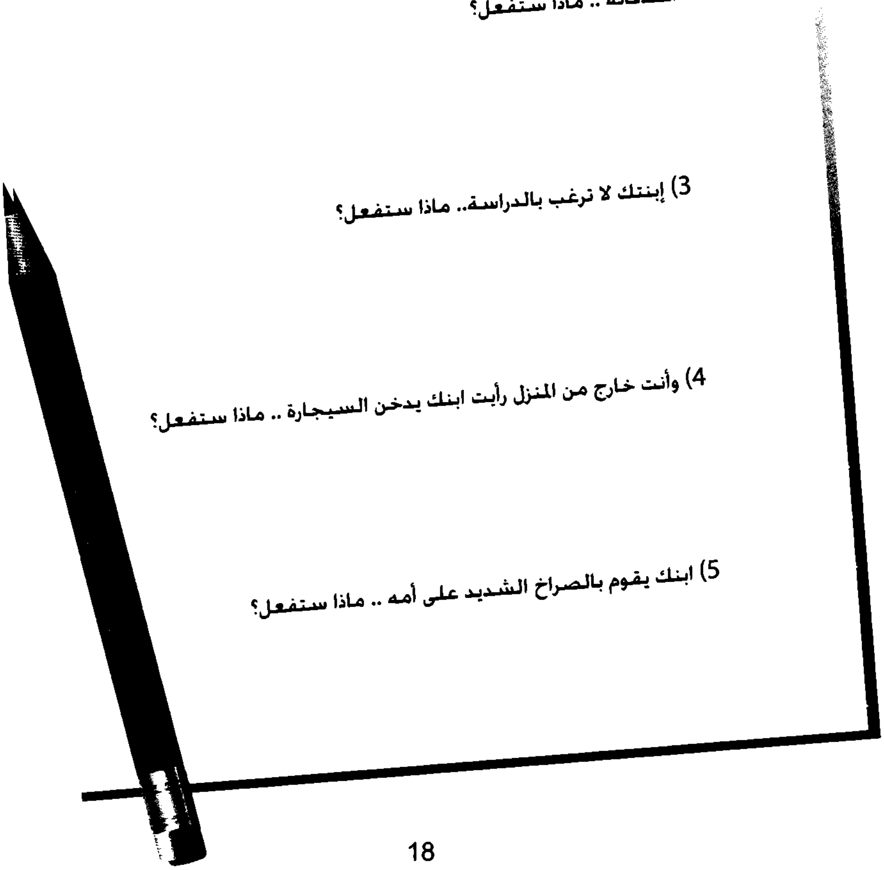
1) أثناء جلوسك في صالة المنزل قام ابنك بشتم أخيه الأصغر أمامك .. ماذا ستفعل؟

2) هاتَفك مدير المدرسة قائلا لك: ابنك يوميا يقوم بسرقة حاجات أصدقائه .. ماذا ستفعل؟

3) إبنتك لا ترغب بالدراسة.. ماذا ستفعل؟

4) وأنت خارج من المنزل رأيت ابنك يدخن السيجارة .. ماذا ستفعل؟

5) ابنك يقوم بالصراخ الشديد على أمه .. ماذا ستفعل؟



هذه أسئلة.. لكنها في الواقع حوادث تحصل بشكل يومي لنا، وعدم مقدرتنا على علاجها بالشكل الصحيح يعني أننا نقتل بأيدينا عقول ومشاعر من حولنا بطريقتنا الخاطئة في العلاج والتعامل، فكل موقف لا نتعامل معه بشكل صحيح هو في الحقيقة تشويه لشخصية أبنائنا المستقبلية، **فشخصياتهم في المستقبل هي نِتاج لطريقة تعاملنا مع مشاكلهم في الحاضر**. وهنا تكمن خطورة عدم التعلم أنّ ما سنحصده مستقبلا يعتمد كليا على ما نزرعه في حاضرنا، فلا تتوقع أن تحصد تفاحة حمراء حلوة الطعم جميلة المذاق وأنت لم تُحسن تهيئة التربة ولم تسقها بشكل دوري بالماء، فهذا ما جنته يداك بحسب فعلك.. **وكل إناءٍ (عقلك) بما فيه ينضح (تربية)!**

وحتى لا تقع في هذه المشاكل، يجب عليك أن تتعلم طرق التربية الحديثة وأساليبها، اقرأ في خصائص مرحلة الطفولة والمراهقة واحتياجاتها، تثقف في كيفية غرس الأخلاق فيمن حولك، اقرأ القصص التاريخية التي تحمل في طياتها القيم وارِوها لأبنائك، ابحث عن أكثر المشاكل السلوكية التي يقع فيها الأطفال والمراهقون واحصل على طرق التعامل معها مع المختصين، اعرف كيف تكسب قلوب أبنائك بطريقة صحيحة لأن كسب القلوب مرحلة تسبق علاج مشاكلهم، فلن تستطيع أبداً احتواء سلوكيات من حولك إلا بعد أن تكسب قلوبهم، لأنك حينها تستطيع وبجدارة أن تفوز بثقتهم الغالية بحبك وفهمك لهم.

هذه أمور وغيرها تستحق منك البحث والتعمق فيها، **فعندما** تستشعر أنك تتعامل مع عقل يفكر وقلب يملك المشاعر والأحاسيس تكتشف أن الأمر يستحق العناء للتعلم، فأنت لا تتعامل مع جماد بل مع إنسان سيكون له دور عظيم في المستقبلٍ لخدمة دينه ومجتمعه إن أحسنت تربيته، وعلى النقيض تماماً، سيكون عالة على بيته ومجتمعه ودينه إن أنت قصَّرت معه، والجميل المريح أن الأمر بيدك أيها المربي فأنت:

إمَا أن تكون وريث نبي، أو مجرم تاريخ ★

★ نسيبة المطوع



• التربية التقليدية تُقَولِب الشخصية؛ فالقالب المتقن تنتج عنه قطعة متقنة، لكنها تكون مفتقرة إلى المرونة والإبداع خارج تفاصيل القالب

يقول عبدالرحمن الكواكبي: " خلق اللّه في الإنسان استعداداً للصلاح واستعداداً للفساد، فأبواه يُصلحانه وأبواه يُفسدانه، أي أنَّ التربية تربو باستعداده جسماً ونفساً وعقلاً. إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وقد سبق أن الإستبداد المشؤوم يؤثر على الأجسام فيورثها السقام، ويسطو على النفوس فيفسد الأخلاق، ويضغط على العقول فيمنع نماءها بالعلم. بناءً عليه، تكون التربية والاستبداد عاملين متعاكسين في النتائج. فكُلُّ ما تبنيه التربية مع ضعفها يهدمه الإستبداد بقوته، وهل يتمُ بناءٌ وراءه هادم؟»*

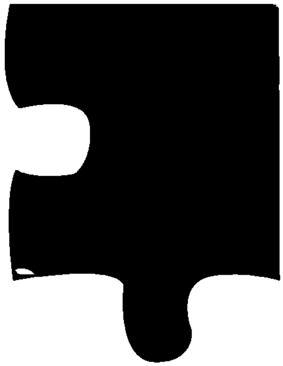
عندما تمارس التربية والتي هي وظيفة ورسالة الأنبياء والرسل من دون أن يكون لديك علم فأنت أقرب للهدم والتدمير منه إلى البناء، وإن كانت بحسن نية منك، كما أشار الكواكبي في آخر الفقرة السابقة أنّ البناء لاً يتم إذا كان وراءه هادم **ولن يكون هذا الهادم إلا إنساناً لم يتعلم!**

فحسن النية لا تشفع لك عند اللّه إذا كُنت خاليَ العقل شحيح العلم **وسماعك لضجيج إحدى عربات القطار دليلٌ على فراغه**.. لانك لن تستطيع احتواء أبنائك من دون أن يكون لديك الوصفة السحرية لذلك، خصوصاً إذا ما وضعنا بعين الاعتبار الاختلافات الكبيرة بين البشر فليس ما تهتم به يجب أن يهتم به من حولك، لذلك سيكون التعلم هي تلك الوصفة التي تغزو بها عقول من حولك.

من لم يَرَ العلم أغلى ... من كلِ شيءٍ يُصابُ
فليس يُفلحُ حتى ... يُحثى عليه الترابُ

- أفضل المصادر لتعلّم فنون التربية:
  1) من بطون كتب التربية.
  2) الدورات التدريبية.
  3) المحاضرات.
  4) المواقع المتخصصة بالتربية في الإنترنت.
  5) الـ YouTube.
  6) مراجعة المختصين في مجال التربية.

* طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد ص ٣٥١





(ومضة)

بالعلم نبني .. وبالجهل نهدم !

المؤلف

القطعة الثانية: حدد هدفك من التربية

أكثر المواقف التي أمر بها شخصياً في لقاءات أولياء الأمور في المدرسة، هي تلك التي يأتيني فيها ولي أمر ويسرد علي مشاكل وسلبيات ابنه. فكل ما أفعله في هذا الوقت هو الإستماع إليه إلى أن ينتهي، لأبدأ بعدها بطرح بعض الأسئلة التي أكتشف من خلالها أن (الأب/ الأم) لا يعرف بالتحديد ماذا يريد لابنه! وما هذه المشاكل التي يعاني منها أبناءنا إلّا نتيجة لعدم وضوح الهدف الصحيح من تربية الأبناء!

فأنت كمربٍ في بيتك مع أبنائك .. أو كمعلم مع طلابك، هل حددت الهدفٍ أو النتيجة التي تريد الوصول إليها وأنت تربي المجموعة التي تدور حولك؟! كثير من المربين يتحركون في تربيتهم بدائرة مفرغة.. لم ولن يصلوا لنتيجة محددة أبداً، وهؤلاء حالهم كحال قصة (أليس في بلاد العجائب)، عندما وجدت قطاً يقف بين طريقين.. فسألته: أي الطريقين أسلك؟

فأجابها بسؤال: إن ذلك يعتمد على المكان الذي تريدين الذهاب إليه!

فقالت: لا أعلم أين أذهب!

فقال لها: إذاً لا يهم أي الطريقين تسلكين!!

فعدم تحديد غايتك التي تريد الوصول إليها في عملية بناء شخصيات أبنائك، وما هي الصفات والقيم التي تريد غرسها فيهم، ذلك يعني أنك لن تصل إلى شيء، بل أنت بهذا التصرف تجعل أبناءك عُرضة وصيداً سهلاً لمغريات خطيرة كثيرة من أصحاب سوء يتربصون بهم وإعلام وأفكار هدامة.

وهناك صنف آخر من المربين يقومون بتحديد أهدافهم، ورؤيتهم واضحة بالشخصية التي يريدون تكوينها للمستقبل، ولكنها لا تتعدى أن يكون المتربي طبيباً أو مهندساً، أو أن يهيؤه على حرفة تتميز بها عائلته لكي يمتهنها عندما يكبر، وهذا التوجه من الآباء ليس خطأً بالمجمل، بل هو مطلب مهم، لكنَ الخطأ فيه يكمن في أن تجعله هدفاً رئيساً تربي من أجله، فهذه الأمور لا تتعدى كونها وسائل تعين الإنسان للوصول لأهدافه الرئيسية في الحياة والتي يجب أن لا تخرج عن رضا الله تبارك وتعالى

وفي ذلك يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله: "إن صناعة التعليم هي أشرف الصناعات التي يستطيع الإنسان أن يحترفها، **وإن الغرض من التربية هي الفضيلة والتقرب من الله تعالى**".

وحتى نستوضح أكثر المقصد من العملية التربوية لأبنائنا أضع لكم تعريفاً جميلاً للتربية للدكتور محمد منير يبين لنا ما هو الهدف منها فيقول:

«التربية في الإسلام تعني بلوغ الكمال بالتدريج ويقصد بالكمال هنا كمال الجسم والعقل والخُلُق، لأن الإنسان هو موضوع التربية »

ويزيد في شرحه فيقول :

« تستهدف (أي التربية) مساعدة الفرد على تحقيق ذاته وتنمية قدراته وإمكاناته وتزويده بالمهارات المعرفية والسلوكية والعملية التي تمكنه من أن يحيا حياة كريمة بعيدة عن الجهل وشبح الفقر وإهدار القيمة والكرامة الإنسانية » *

بعد هذا التعريف نجد أن الموضوع أكبر من أن نقوم بتربية أبنائنا من دون وضع أهداف سليمة للشخصية التي نريد تكوينها للمستقبل لتكون أداة صالحة ومؤثرة في المجتمع، وأيضا يتبين لنا أن الموضوع أكبر بكثير من أن نجعل همّنا في تربية من حولنا أن يكون مهندساً .. أو طبيباً .. أو أي مهنة أخرى.

* أصول التربية

الأمر يتعدى ذلك، فالتربية أسمى.. **فهي** تدخل فـي صلب الإنسـان في تربية عقله وتدريبه؛ كيف يفكر ويتخذ قراراً، وكيف يستطيع حل مشاكله بنفسه، وفي تربية قلبه بأن يعرف أن الحب الأول يجب أن يكون لله تعالى ثم للرسول صلى الله عليه وسلم ثم للوالدين، وأن يعرف كيف يدير مشاعره وأحاسيسه لا أن تديره، وأيضاً تربية سلوكياته بتأدُّبه في تصرفاته مع الخالق بأن يراقبه ويتَقيه في سره وعلنه، ومع الخلق بأن يحترم الكبير ويعطف على الصغير ويحترم الآراء ويتعايش مع الجميع من يوافقه ومن يخالفه، فعندما تطبق ذلك وتلامس وتُؤثر في عقول وقلوب الأبناء حينها أن تسير بشكل صحيح.. **هذه هي التربية!**

وحتى أُضفي الجانب العملي لهذه القطعة سأضع بين يديك مجموعة من الأسئلة، ستساعدك بشكل فعّال في تحديد أهداف صحيحة تقوم على أساسها بتربية أبنائك:

خُماسية الشخصية الفاعلة

١ ما هي المعتقدات والعبادات التي ألزم فيها الدين الحنيف أن تتوفر في شخصية كل مسلم؟

٢ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ما هي هذه الأخلاق التي بُعث من أجلها النبي صلى الله عليه وسلم والتي يجب أن تكون في سلوكيات أبنائك؟

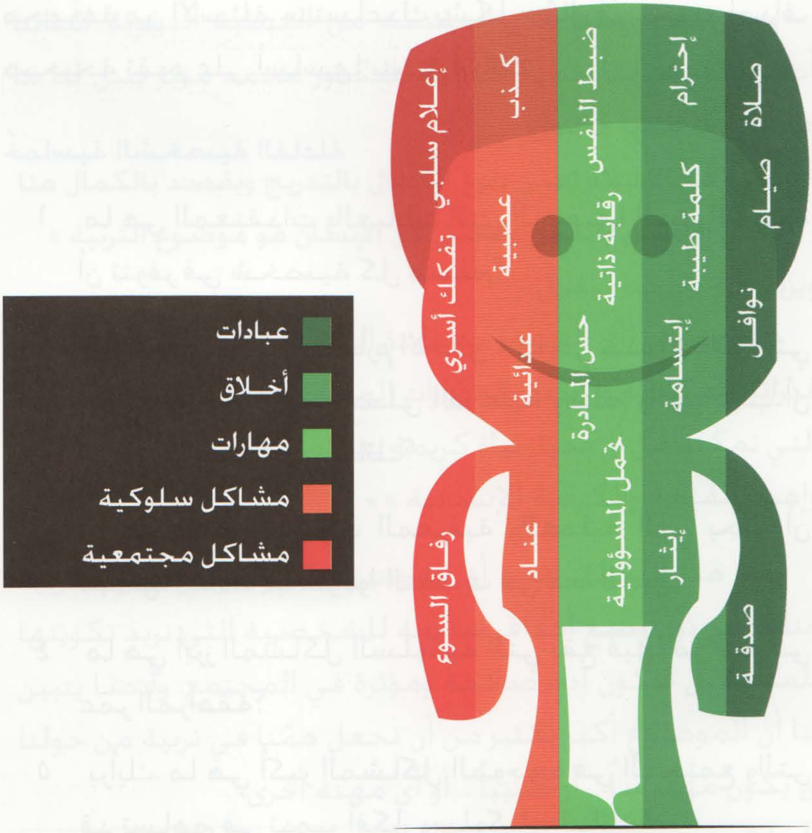
٣ اكتب أهم المهارات المعرفية والعملية التي يجب أن تعلمها أبناءك ليحسنوا التصرف في هذا الزمن.

٤ ما هي أبرز المشاكل السلوكية التي يقع فيها من هم في عمر المراهقة؟

٥ برأيك، ما هي أكبر المشاكل الموجودة في المجتمع والتي قد تساهم في تدمير أفكار وسلوكيات أبنائك؟

إجابتك على هذه الأسئلة الخمسة (**خماسية الشخصية الفاعلة**) ستساعدك في تحديد الهدف الأساسي من العملية التربوية لأبنائك، وأيضا ستسهل عليك في تحديد أبرز القيم والمهارات التي يجب أن تكون موجودة في كل شخصية ناجحة ومؤثرة.

كل ما عليك فعله الآن أن تجمع إجابات الأسئلة الثلاث الأولى فهي تمثل الشخصية الفاعلة.. ثم تقابلها بإجابتي السؤالين الرابع الخامس والذين يمثلان المشاكل التي ستواجه هذه الشخصية خلال أداء عملها اليومي، ومن ثم تقوم بتربية ابنك على مواجهتها والتغلب عليها من خلال الصفات والمهارات التي استخرجتها من الأسئلة الثلاث الأولى.



• انتبـــــــه!

لا خير ولا نفع في تربية تجعل صاحبها بعيداً عن العملية الإنتاجية للمجتمع والجماعة والمشاركة في صناعة حضارة الدولة والدين. فليس الهدف من التربية أن نعزل أبناءنا عن المجتمع خوفاً عليهم من أن يقعوا في الخطأ. بل الهدف منها أن نعلّمهم كيف يعيشون في المجتمع والواقع بإيجابياته وسلبياته وأن نعلّمهم كيف يتصرفون عندما يقعون في الخطأ!

يقول الدكتور جاسم سلطان:

" إننا نريد أن نخرج جيلاً من القادة وليس جيلاً من الأطفال. جيلاً يبادر وليس جيلاً ينتظر. جيلاً يوحد الأمة وليس جيلاً يتقوقع على منظمته. جيلاً شاباً وليس شباباً شاخ بروحه وعزيمته. ففقد أهم ما يميز الشباب. إن نزع الشعور باستقلال الجيل تعني التبلد الذهني وجمود العمل". ★

هذه رؤية واضحة لشخصية نريد من كل مربٍ أن يعمل من أجل تكوينها حتى تكون أداة فاعلة مستقلة ومؤثرة للمجتمع الذي يعيش فيه، ولن نستطيع الوصول لها إذا كان أساس طريقة تربيتنا لأبنائنا قائمة على الإلزام والصراخ والتلقين. بل وسيلتها الصحيحة للوصول لها هي في قولة حسن البنا رحمه الله عندما قال: علموه (أي الجيل) :

١ **على استقلال النفس والقلب:**
ويقصد بها حب الله تبارك وتعالى ومراقبته والسير على أوامره والإبتعاد عن نواهيه جل وعلا. وحب الحقيقة والبحث عنها بكل الطرق والوسائل. لا أن نربّيهم على اتباع الأشخاص دون النظر والبحث في أفكارهم.

٢ **على استقلال الفكر والعقل:**
ويقصد بها استقلالهم من الأهواء وحظوظ النفس واتباع المصلحة الشخصية، وأن يكون صاحب رأي مع الحقيقة أينما كانت، يأخذها حتى لو كانت من الغريب البعيد.

★ قوانين النهضة ص ٤٢١

٣ **استقلال الجهد والعمل:**
ويقصد بها أن لا يتأثر المتربي بمن حوله فتجده يعمل ويتحرك إذا تحركوا ويسكن إذا سكنوا. بل يجب أن نربيه على المبادرة والعمل حتى في الظروف والأوقات التي يجلس ويتذمر بها الباقي ممن حوله.

وفي موضع آخر يرى حسن البنا رحمه الله أن التربية تسعى لإيجاد انسان فيه عشر صفات أساسية هي : "**أن يكون قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، منظما في شؤونه، حريصاً على وقته، نافعاً لغيره**".. وحتى تستطيع أيها المربي الوصول لهذه الصفات العشر التي اقترحها، عليك أن تعرف أنّ دور التربية يتركّز حول أمرين كما وضّحه الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه هما:

١ تخليص الإنسان من الأوهام والمخاوف التي تتحكم فيه وتقيّد حريته.

٢ والأمر الثاني في تعزيز إرادة الإثبات وإرادة النمو وإرادة المقدرة الذاتية في المتربين حتى يكونوا أهلاً لهذه الصفات العظيمة.

نعم ... انتبـــــه !

إنّ طريق العمل لتكوين هذه الشخصية لن يكون مفروشاً بالورود، بل ستجده كثير الأشواك والعقبات، لكنَ المحصلة النهائية تستحق منا كمربين أن نتجاوز هذه العقبات والأشواك بروح جميلة وسعيدة لأن النتيجة ستكون مرضية لك في الدنيا عندما ترى أبناءك قادةً مؤثرين مصلحين لمن حولهم، وأيضاً في الآخرة، عندما تجد هذا العمل في صحائفك يوم تلقى الرب جل وعلا.

الآن ... وبعد أن اطلعت على أهمية تحديد الهدف الصحيح أثناء تربية من حولك، عليك أيها المربي وكما يقول الدكتور طه عبدالرحمن: "يجب أن لا ينفك علمك عن عملك" ⋆

⋆ سؤال الأخلاق، ص ٨٣١

وأقولها لك **"يجب أن لا تنفك في أي حال من الأحوال تربيتك عن هدفك!"**

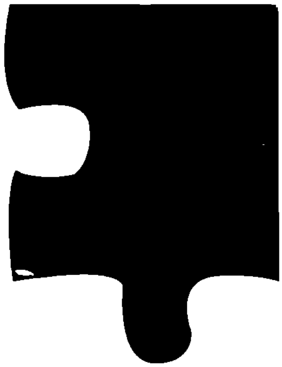
• أختم هذه القطعة بتوصية الخليفة العباسي هارون الرشيد :

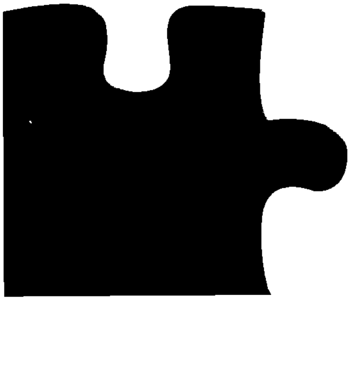
قام هارون الرشيد بتوصية الكسائي مؤدب ابنه الأمين وقال له:

"أقرئه القرآن وعرّفه الآثار وروّه الأشعار، وعلمه السنن وبصّره مواقع الكلام وامنعه من الضحك إلا بأوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفعّه مجالس القواد، ولا تمرنَّ بك ساعة إلا وانت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة." ⋆

نحتاج كمربين أن نطبق وصية هارون الرشيد لمربي ابنه الأمين في بيوتنا مع أبنائنا.. لكن بالوسيلة والطريقة الصحيحة، فكما ذكرت في مقدمة الكتاب أن التربية عبارة عن معلومة صحيحة ووسيلة صحيحة، ففي وصية هارون الرشيد المعلومات والقيم الصحيحة لكن كيف هي الوسيلة التي تجعل أبناءنا يتقبلون هذه الأمور؟ .. تابع قراءة صفحات هذا الكتاب!

⋆ مروج الذهب ومعادن الجوهر أبو الحسن علي المسعودي ج١ - ص ١٢٣ - ٢٣







(ومضـة)

أن تبدأ الطريق ولم تنتهِ منه بعد، لا يعني أنك أخطأت الطريق .

حكمة

القطعة الثالثة: بشروا ولا تنفروا

بشروا ... ولا تنفروا

وضع لنا النبي صلى اللّه عليه وسلم منهجاً متكاملاً في تربية من حولنا، صغيراً كان أو كبيراً رجلاً أو امرأة، جاهلا أو متعلماً ... في كيفية تقديم وصفة النجاح والسعادة لهم سواء كانت معتقداً أو عبادة أو فضيلة أو قيمة عندما قال في الحديث الذي رواه أنس رضي اللّه عنه:

''يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا''.

فاختصر تعليم الناس وتربيتهم على الخير في كلمتين:

١ التيسير

٢ التبشير

لأنه يعلم صلوات اللّه عليه أن الناس قد جُبلوا على حب اليسير والسهل وتقبلهم لأي شيء عبر ذكر محاسنه، فلقد كان النبي صلى اللّه عليه وسلم عندما يخيَّر بين أمرين يختار أيسرهما مالم يكن إثماً، وعلى النقيض تماماً، فقد نهى في الحديث الشريف عن التعسير على الناس وإلزامهم بثقال الأمور وتنفيرهم عن المحاسن والفضائل باستخدام الشدة والغلظة الذي قد ينتج عنه كره شديد للمعلومة وإن كانت مفيدة، وقد يتفاقم الأمر إلى كره المربي. فعن أبي أمامة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «شر الناس الضيق على أهله، قالوا: يا رسول اللّه وكيف يكون ضيقاً على أهله؟! قال: الرجل إذا دخل بيته خشعت امرأته وهرب ولده وفر، فإذا خرج ضحكت امرأته واستأنس أهل بيته.»

ومع وجود هذا الأمر النبوي في التعامل، نجد كثيراً ممن حاد عن هذا الطريق في تربية أبنائه، وأصبح يتعامل معهم بأسلوب التعسير والترهيب وزرع الخوف والشك في نفوسهم، مما يجعلهم ينفرون مما يدعو إليه هذا المربي، حتى لو كانت قِيَماً وفضائل تبدو في حقيقتها للمتربين أمراً لا غنى عن وجوده، لكن الوسيلة

المستخدمة قد جعلت هذه القيمة والفضيلة **مرفوضة من الأبناء وليست مطلوبة.**

وهناك دلالات كثيرة في القرآن الكريم والسُنة المطهرة التي تدعو من يمتهن مهنة التعليم والتربية أن يترفّق بمن حوله ويكون معهم هيناً ليناً كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم :

''**إن اللّه رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**''. وفي حديث آخر قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: ''**ألا أخبركم على من تحرم النار؟ على كل هين لين قريب سهل**'' فهذه الصفات الأربع:

١ هين.

٢ لين.

٣ قريب.

٤ سهل.

يجب أن يتحلى بها المربون عند تعاملهم مع الأبناء. فقد قال المناوي - رحمه اللّه - في شرح هذا الحديث العظيم:

(على كل هين) أي متصف بالسكينة والوقار. (لين) وهي ضد الخشونة. (قريب) أي قريب من الناس. (سهل) أي سهل في قضاء حوائج الناس.

فهذه الصفات الأربع هي التي جعلت الصحابة الكرام ينقادون انقياداً للنبي الكريم صلى اللّه عليه وسلم. ووصل حبهم له إلى أعلى مراتبها. فقد قال اللّه في كتابه: ''**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**''.

ولنا أيضا من قصة سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام عظة ورسالة عندما أمرهما اللّه تعالى أن يذهبا لأكبر طاغوت في زمانه ويدعواه إلى الهداية فقال:

''اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى''.

بشّروا ... ولا تنفّروا

ففي هذه الآية، إشارة ربانية تربوية عظيمة، فبالرغم مِنْ أنْ فرعون وصل لمرحلة الطغيان والشرك الأكبر عندما ادعى الألوهية في قوله: ''**أنا ربكم الأعلى**'' إلا أن الرب جل وعلا أمر موسى وأخاه هارون أن يستخدما أسلوب التبشير والتيسير والرفق واللين في دعوة فرعون إلى الهداية، فإذا كان أمر اللّه تعالى في دعوة فرعون أن يكون بهذا الأسلوب فكيف بعامة الناس؟ بل كيف لو أردنا اسقاطها على تربية الأبناء! سنجد أنهم أولى الناس بهذا الأسلوب فهم فلذة الأكباد وعماد المستقبل.

- **خطوات عملية لاستخدام قطعة ''التيسير والتبشير''** :

١ **التيسير** يكون في المعلومة المراد توصيلها للمتربي، و**التبشير** هي الوسيلة المستخدمة لنقل المعلومة.

٢ احدى صور التيسير على المتربين هو التدريج في تحميلهم التكاليف وتعليمهم القيم والفضائل وليس جميعهم بدفعات قليلة.

٣ التبشير كلمة تعني غرس المعاني الفضيلة بإظهار الجانب المشرق والإيجابي لها ... مثال: تبشير الأبناء بفضائل الإلتزام بالصلاة، وفضائل تطبيق الصدق، وربحيات التقرب إلى اللّه، وليس خطورة ترك الصلاة أو ترك الصدق وترهيبه بالنار وغضب اللّه...

٤ النبي صلى اللّه عليه وسلم في الحديث أمر بالتيسير ونهى عن التعسير، وأمر بالتبشير ونهى عن التنفير.



• خذ بأيديهم ... رغبهم ... ولا ترهبهم

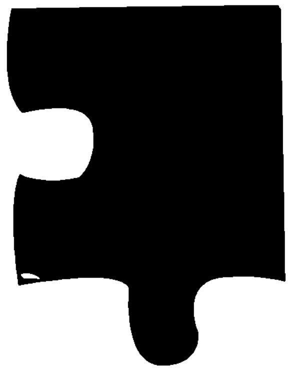
• إبدأ بالتيسير عليهم ثم بشرهم عبر المحفزات:

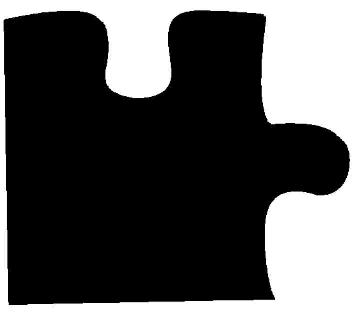
من الخطوات العملية في تطبيق هذه القاعدة أن تيسّر على من حولك في الطلبات والتكاليف ثم تبشرهم عبر محفزات معنوية ومادية إذا ما طبقوا هذا الطلب أو التكليف، **أذكر في مرة من المرات أني أقمت في منزلنا مسابقة للأطفال، وكان فحواها (من يقرأ ٤ كتب له جائزة قيمة)، وكانت النتيجة مذهلة للغاية بسبب تطبيقي لهذه القاعدة بإتقان. فأول ما فعلته هو اختيار أربع قصص صغيرة الحجم لا تتعدى ١٥ صفحة (هنا التيسير)، ثم أتبعتها بإعلاني لأطفال العائلة أن من يقرأ القصص الأربع له جائزة قيمة (هنا التبشير عبر محفز)**. إن الأمر بسيط في التربية، فهي مجرد قواعد، ستنجح عند اتباعك لها!

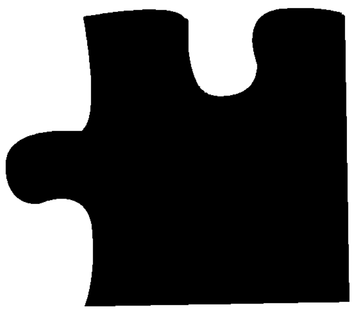
قبل أن تفارق قطعة الـــ Puzzle أطراف أصابعك، وقبل أن تنتقل عينك للقطعة التالية، أضع لك عزيزي المربي مقولة جميلة للشيخ محمد الغزالي ـ رحمه اللّه ـ تلخص بشكل مميز ما أردت إيصاله من هذه القطعة، إذ يقول:

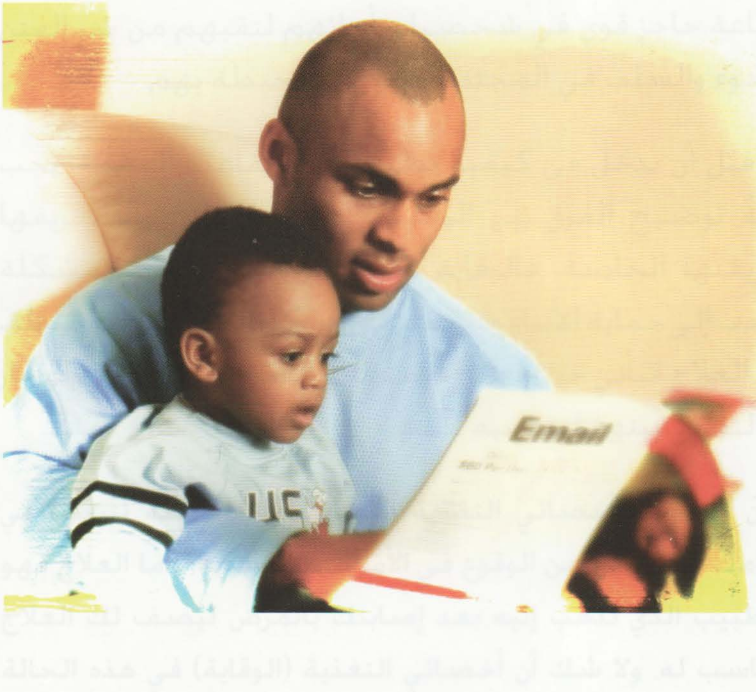
«لا أدري لماذا لا يطير العباد إلى ربهم على أجنحة من الشوق بدل أن يُساقوا إليه بسياط من الرهبة؟! إنَ الجهل باللّه وبدينه هو علَّة هذا الشعور البارد، أو هذا الشعور النافر، مع أنّ البشر لن يجدوا أَبَرَّ بهم ولا أحنَ عليهم من اللّه تعالى».

فلماذا أيها المربي تحرص على أن تربي من حولك عبر ترهيبهم وزرع الخوف في أنفسهم وإبراز عواقب ترك أوامر اللّه وإتيان نواهيه، ولا تركز على تقديم البشارات لهم وربحيات التعامل مع اللّه جل وعلا وتتناسى تربية أبنائك على رحمة اللّه وزرع حبه في ذواتهم حتى ينقادوا له بأجنحة من الحب والرغبة في العمل بما أمر؟









(ومضة)

قيل: امنح أبناءك الكثير من الحب والقليل من المال، لأن حاجتهم إلى الحب أكبر من المال

القطعة الرابعة: الوقايةُ خيرٌ من العلاج

كثير من المربين لا يتحركون إلاّ بعد أن يروا إبناً يدخن السيجارة، أو عندما يجدون تصرفات تدعو للريبة والشك من أحد أبنائهم، ولا يتحركون إلاّ بعد معرفتهم من إدارة المدرسة، أن ابنتهم هبطت نسبتها الدراسية من جيد جداً إلى ضعيف، وغيرها من الحالات التي نعايشها! لذا يقضي كثير من أولياء الأمور أوقاتهم في ممارسة التربية بعلاج المشاكل حين تقع، ولا يفكرون في كيفية صناعة حاجز قوي في شخصيات أبنائهم لتقيهم من شر الفتن والسوء والسلب في المجتمع والبيئة المحيطة بهم.

وقبل أن ندخل في كيفية تطبيق هذه القاعدة المهمة، يجب بدايةً توضيح الفرق بين الوقاية والعلاج، فلكلٍ منها تعريفها وطريقتها الخاصة، فالوقاية تكون قبل الوقوع في المشكلة وتهدف إلى حماية الأبناء وتحصينهم من كل المشاكل المحيطة، وأما العلاج فيأتي حين نعالج السلوك الخاطئ بعد حدوثه، ولو جاز لي التفريق بينهما بتشبيه لقلت:

إنَ الوقاية كأخصائي التغذية الذي يقدم لك خطة تتّبعها في طعامك حمايةً لك من الوقوع في الأمراض الجسدية، وأما العلاج فهو كالطبيب الذي تذهب إليه بعد إصابتك بالمرض ليصف لك العلاج المناسب له، ولا شك أن أخصائي التغذية (الوقاية) في هذه الحالة أفضل من الطبيب (العلاج).

ما هو مضمون هذه القطعة ؟

أفضل تطبيق لقاعدة "الوقاية خير من العلاج" هي أن نربي أبناءنا على أمرين:

١ **التربية الإيمانية.**

٢ **التربية الأخلاقية.**

فهما يمثلان الحاجز القوي الذي يحفظ شخصياتهم من قوى السلب والسوء التي تحوم حولهم في المجتمعات التي يعيشون فيها، والسبب في اختيار هذين الأمرين كونهما يمثلان الحصن الذي يحمي الشخصية من المؤثرات السلبية الخارجية، وهما كالغربال الذي يصفّي الأشياء فيأخذ منها الصالح ليستفاد منه ويترك الطالح الذي يضره، ولن يصل أبناؤنا إلى هذه المرحلة المتقدمة إلا بعد أن نزرع فيهم هذه الفضائل والقيم الإيمانية والأخلاقية. والفرق بينهما أن التربية الإيمانية تمثل علاقة الفرد بربه وسبل الوصول والتقرب إليه جل وعلا وهي الأساس لكل عملية تربوية، فلا خير في فرد ناجح في حياته وفي علاقاته وهو بعيد كل البعد عن ربه، فنجاحه هنا نجاح صوري ووقتي وليس نجاحاً حقيقياً، وأما التربية الأخلاقية فتكون بين الفرد والمجتمع وهي المعيار لتقدم الأمم والحضارات وهبوطها، فإن ارتقاء الفرد يرتبط بسمو أخلاقه مع الناس وتأدبه معهم، كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي في بيته الشهير:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد ورد عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أن رجلا قال له : "يا رسول اللّه، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها! فقال : هي في النار، ثم قال : يا رسول اللّه، إن فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ـ أي بقطع من الجبن ـ ولا تؤذي جيرانها. فقال : هي في الجنة."

فعندما وضعت الجانب الأخلاقي سبباً رئيسياً في صلاح الفرد ووقايته من سهام السلب في هذا العصر، لأنها ببساطة تمثل المستشفى الذي يُعالج الأمراض النفسية والسلوكية من دون

تدخّل المربين في العلاج. "وقد سلك الأنبياء عليهم السلام، في إنقاذ الأمم من فساد الأخلاق، مسلك الابتداء أولا بفكّ العقول من تعظيم غير اللّه والإذعان لسواه، وذلك بتقوية حُسن الإيمان المفطور عليه وجدان كل إنسان، ثم جهدوا في تنوير العقول بمادئ الحكمة، وتعريف الإنسان كيف يملك إرادته (أي حريته في أفكاره)، واختياره في أعماله، وبذلك هدموا حصون الاستبداد وسدّوا منبع الفساد"*

نجد في الفقرة السابقة إشارة مميزة من المفكر عبدالرحمن الكواكبي عندما تحدث عن أول عمل يقوم به الأنبياء مع قومهم هو إصلاح ما فسد من أخلاقهم، لأن فسادها هو فساد للعقل والعاطفة والسلوك والروح وبالتالي تفشّي الظلم والجور وانتهاك الحرمات فيهم، لأنك أيها المربي لن تستطيع أبدا تربية إنسان لا وجود لمحاسن الأخلاق في شخصه، فعملك معه يشبه عمل المزارع في أرض قاحلة لا يُرتجى منها زرعٌ أو ثمر.

الآن، بعد الحديث عن أهمية الجانب الإيماني والأخلاقي في حماية الإنسان والإتجاه به نحو صلاحه وفلاحه، سأشير إلى أهم العناصر التي يجب أن نغرسها في الأبناء حتى نطبق هذه القطعة بشكلها الصحيح والكامل، تابع الجدول التالي:

* ك: طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد ـ الكواكبي ٤٤١

نوع التربية		عناصرها
التربية الإيمانية	١	حفظ القرآن الكريم.
	٢	تربية الأبناء على مفهوم (تقوى اللّه) وأنه تبارك وتعالى يراهم في السر والعلن.
	٣	تربيتهم على مفهوم (وحدانية اللّه) وأنه وحده سبحانه الضار والنافع.
	٤	ترسيخ حب النبي صلى اللّه عليه وسلم في نفوس أبنائنا والتزامهم بسننه وأنه قدوة لنا في أقوالنا وأعمالنا.
التربية الأخلاقية	١	تربيتهم على الصدق.
	٢	غرس قيمة الأمانة فيهم.
	٣	بر الوالدين.
	٤	إحترامهم للكبير وعطفهم على الصغير.
	٥	تربيتهم على البذل والعطاء من دون مقابل (العمل النطوعي).
	٦	احترام الآراء المخالفة لرأيه.

• في أي سن نبدأ بها ؟

إن أفضل مرحلة لتربية أبنائك عليهما هي في طفولتهم (من سن ٤ سنوات إلى ١٤). ففي هذه المرحلة يكون استقبال الفرد للمعلومات والأفكار سهلاً جداً إذا ما قام المربي بغرس الفضائل والقيم في عقله. ولأن عقله في هذا الوقت يكون فارغاً ومتعطشاً لامتلاك الجديد. وأيضاً حب من هم في هذه المرحلة للتقليد يجعل مهمة غرسها يسيرة على المربين.

إن مرور هذه السنوات والمرحلة من دون أن يربي المربي أبناءه على هذه الفضائل والقيم سيسبب بلا أدنى شك مشكلة كبيرة. فكلما زاد العمر، أصبحت التربية على هذه الجوانب أصعب. إذ يدخل المتربي في مرحلة المراهقة وهي مرحلة الاستقلالية وحب التفرد بالقرارات وكره التوجيه المباشر من قبل الوالدين. لكن هذا لا يعني استحالة تربيته على ذلك. إنما ستكون أصعب بكثير من مرحلة الطفولة. لذلك نجد أن سيدنا علي كرم اللّه وجهه انتبه لهذا الموضوع فقال:

«لاعبه سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً... ثم اترك له الحبل على الغارب»

إشارةً منه إلى وجوب أن يستثمر المربون فترة الطفولة إلى عمر ١٤ سنة بغرس المفاهيم الإيمانية والأخلاقية فيهم، لأنها تشكّل أولوية عن باقي المفاهيم والمهارات الحياتية، إذ ستأتي مرحلة بعدها لا يتقبل فيها المتربي كثرة التوجيه والإرشاد المباشر من المربين، وقد أجاد الشاعر أحمد شوقي وصفه في هذه القصيدة التي كتب فيها:

بين الحديقة والنهر   وجمال ألوان الزهر
سارت مها مسرورة   مع والدٍ حانٍ أبر
فرأت هنالك نخلة   معوجَّة بين الشّجر
فتناولت حبلا وقالت: يا أبي هيا انتظر
حتى نُقوِّم عودها   لتكون أجمل في النظر
فأجاب والدها: لقد   كبرت وطال بها العمر
ومن العسير صلاحها   فات الأوانُ ولا مفر
قد ينفع الإصلاح   والتهذيب في عهد الصغر
والنشء إن أهملته   طفلا تعثر في الكبر

كما يجب أن نفهم كمربين أن مرحلة الطفولة هي مرحلة تشكيل شخصية الأبناء الإيمانية والأخلاقية بالمفاهيم التي تتناسب مع أعمارهم، كما وضحت في الجدول السابق، لأن هذه المفاهيم عندما تغرس فيهم ستكون كالقلعة التي تحتمي بها شخصياتهم في مرحلة المراهقة، فحينها، وعندما نقوم بالواجب، سيكون العمل والتوجيه أيسر لنا أثناء مراهقتهم، **لذلك نحن بحاجة ماسة لأن نجدد في خطابنا الأخلاقي والإيماني ونجدد في الوسائل التي تساعد في كيفية زرعها في مجتمع يفتقر لها قبل فوات الآوان، لأن البعض يجهل كيفية إظهار هذين الجانبين بأفضل طريقة لمن هم حولهم.**

• كيف نغرسها؟

بعد أن أوضحت لك عزيزي القارئ الفرق بين الوقاية والعلاج، ثم تطرقت إلى أهمية التربية الوقائية وأنها تكون عبر تربية أبنائنا على الجوانب الإيمانية والأخلاقية، ثم عرّجت على أفضل مرحلة لتربيتهم على هذه الأمور. يبقى الآن أمر أخير في هذه القطعة، وهو الأهم، وأعني بذلك: ما هي أفضل الوسائل التي تستطيع من خلالها غرس المفاهيم الإيمانية والأخلاقية في شخصيات أبنائك؟

بواسطة تقنية (حقّق)، ستستطيع أيها المربي أن تزرع هذه القطعة لمن هم حولك بطريقة ميسرة وممتعة وذلك عبر:

١ حوار: هذه الوسيلة ستجعل أبناءك يتشاركون معك في غرس الفضائل والقيم في شخصياتهم، لأنك أشركتهم في الموضوع وجعلتهم يتجاذبون أطراف الحديث معك، استفد من هذه الوسيلة بأن تقوم بوضع مفهوم معين، أو تصرف إيجابي أو سلبي حدث أمامك وتحاور فيه معهم، واجعلهم يعبرون عن رأيهم في الموضوع ثم قم بتوجيههم بعد الاستماع لهم. فميزة هذه الوسيلة أنها تجعل أبناءك يشعرون بأهميتهم، وأيضاً رفعت من قدرهم، عندما طلبت رأيهم وحاورتهم في الموضوع. لكن لا تنسَ أن يكون التوجيه النهائي منك وبشكل مبسط حتى تحقق الهدف من الحوار، كما يقول أبوبكر الصديق رضي اللّه عنه: ''**وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا**''

٢ قصص: هي وسيلة من أمتع الوسائل التي يحبها الأطفال لأنهم يعشقون الشخصيات الملهمة والبطولية ويحبون تقليدها، وهذا يفسره حبهم الكبير لمشاهدة الأفلام الكرتونية، فعندما تريد غرس قيمة ما من القيم، ابحث في التاريخ الإسلامي والعالمي عن موقف أو قصة أو شخصية حقيقية تخدم ما

تريد توصيله لابنك، وقم بعرض القصة عليه (وقت النوم) أو وأنت في الطريق معه أو في أي وقت وموضع آخر.

٣ قدوة: هي الوسيلة الأهم من بين كل الوسائل، لأن الإنسان من طبيعته ـ التي فطره الله عليها ـ حبه للتقليد والمحاكاة أكثر من حبه للقراءة والتوجيه، فلا أستطيع تخيل مرب يوجه أبناءه نحو الفضائل والقيم الإيجابية ثم أجده أول الأشخاص فعلاً لنقيضها، وبهكذا تصرف ستسبب أزمة كبيرة لدى المتربي، لأنه رآك تفعل غير الذي تربيه عليه، وقد ينتج عنه عدم ثقة المتربي بالمربي واهتزاز صورته لأنه يناقض أقواله بأفعاله، يقول الله تبارك وتعالى: " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون".

يا أيها الرجلُ المعلمُ غيره ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصفُ الدواء لذي السقام وذي الضَنى ... كيما يصحَ به وأنت سقيمُ
إبدأ بنفسك فانهها عن غيِها ... فإذا انتهت عنهُ فأنت حكيمُ
فهناك تُعذرُ إن وعظتَ ويُقتدى ... بالقولِ منك ويُقبل التعليمُ
لا تنه عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلهُ ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ*

فنجد في جزئية القدوة أن مشكلة المربين ليست في العدد، فهناك الكم الهائل والوافر، لكنَ المشكلة في النماذج (ولكنكم غثاء كغثاء السيل) وكما يقول الدكتور عبدالكريم بكار:
«مشكلة الأمة في آخر الزمان هي مشكلة نماذج رفيعة. لا مشكلة أعداد وفيرة»

تقنية (حقّق).. ستحقق لك ـ بعد توفيق الله تعالى ـ تلك الشخصية الإيمانية والأخلاقية المرجوة، إذا وضعت في عين الاعتبار أن أساس نجاح هذه التقنية تكمن في المعايشة، فجلوسك مع أبنائك أيها المربي ومحادثتك إياهم وسماعك لمشاكلهم

---
* أبو الأسود الدؤلي

وطلباتهم، وملاحظة التغيرات السلوكية التي تحدث لهم... كلها أمور تحقق معنى المعايشة والتي هي عمود أساسي في التربية القديمة والحديثة. فلو رجعنا لسيرة النبي صلى اللّه عليه وسلم لوجدنا أنه أخرج افضل جيل على مر التاريخ عبر معايشته لهم، فمجالسه كانت هي المربي الأول لصحابته رضوان اللّه عليهم، وأفضل الطرق في استثمار معايشتنا مع الأبناء ذكرها الدكتور إبراهيم الديب في كتابه ''القيم التأسيسية`` وهي:

١ الحوار والنقاش مع الأبناء.

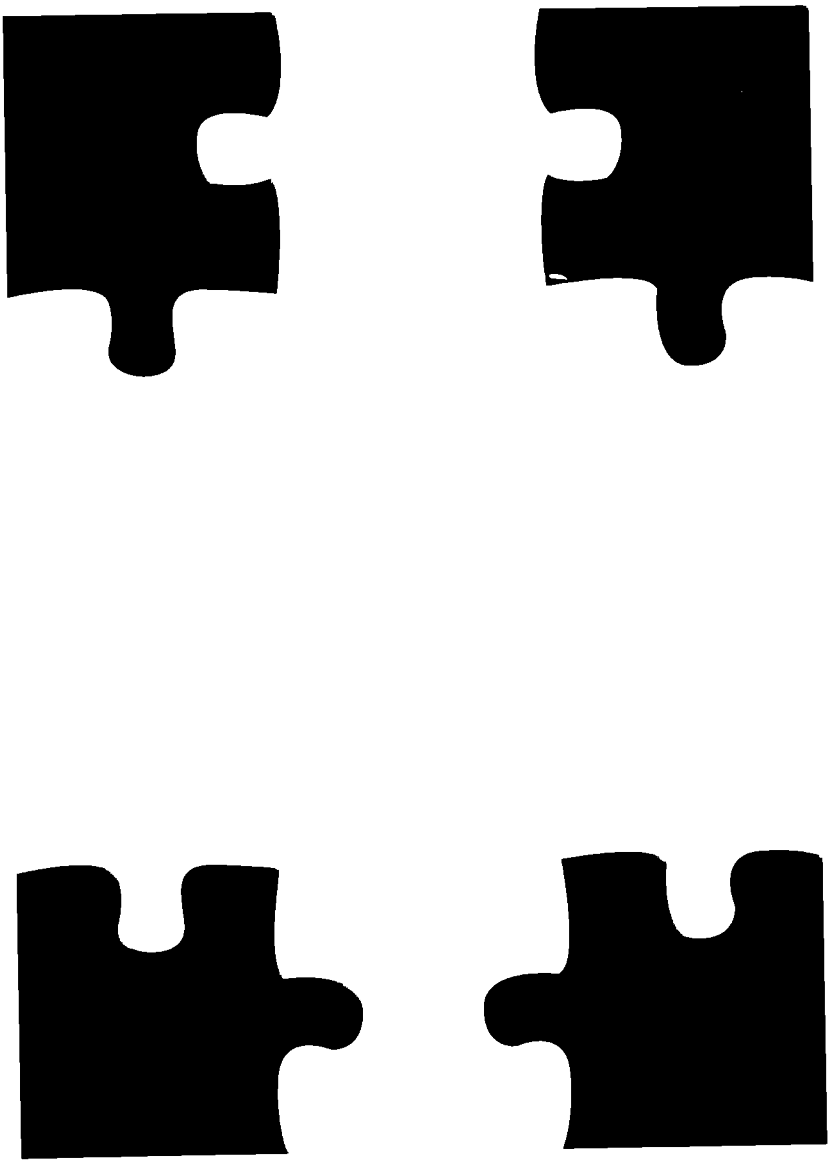
٢ الإشباع النفسي والعاطفي بالكلمات والتعبيرات واللمسات الحانية.

٣ إبراز النموذج القدوة.

٤ التعاون والتناسق والتكامل التربوي بين الأب والأم.

٥ الشرح والتوضيح والتفسير (عن القيم والفضائل وأهميتها).


تقوى
إحترام
رقابة ذاتية
إبتسامة
تواضع
قصص
قدوة
حوار





بعد أن انتهيت من وضع القطعة الرابعة في لوحة الـ Puzzle، أضع لكم مقولة جميلة لأحد أبرز مؤسسي الولايات المتحدة الأمريكية وعالم الفيزياء الشهير بن فرانكلين تلخص بخمس كلمات قاعدة القطعة الرابعة، يقول:

(ومضة)

"درهم وقاية، خيرٌ من قنطار علاج"

القطعة الخامسة: التشخيص قبل التوصيف

زُرتَ في يوم احدى العيادات بسبب ألم شديد ومفاجئ في بطنك، وعندما دخلت على الطبيب المختص، قام مباشرة بكتابة وصفة العلاج لك وقال مبتسماً: **اذهب للصيدلية لاستلام دوائك!**

لا شكَّ أنّ أول ما يخطر في بالك في هذه اللحظة سؤالك عن: **كيف يصف دوائي ولم يكشف علي أو يقم بإجراء الأشعة الخاصة بمنطقة البطن حتى يعرف سبب هذا الألم الشديد؟!** هذا التصرف لا يحدث عند الأطباء عادةً، وإن حدث فإنّ الإجراء المتبع هنا خاطئ وغير صحيح بتاتاً وينافي قواعد الوظيفة الطبية، لأن أول القواعد التي يتعلمها الأطباء عند علاج المرضى هي قاعدة:

التشخيص قبل التوصيف

تشخيص المرض بمعرفة أسبابه، قبل توصيف العلاج للمريض.

فعندما يصف الطبيب لمريضه دواءً من غير أن يعرف أسباب الألم فإنَ في تلك الحالة قد ينتج عنه خطرٌ أكبرُ في المستقبل على المريض، كون الدواء قد لا يتناسب مع الألم، فهذه الحالة تشبه كثيراً حالة المربين عندما يتعاملون مع مشاكل أبنائهم النفسية والسلوكية دون معرفة أسبابها وما هي الأمور التي دفعتهم لفعلها، فلا شك أن القيام بمثل هذا التصرف في التعامل مع مشاكل الأبناء سيزيد الأمر خطورة وقد تتضاعف مشاكلهم لأنك لم تضع يدك على الجرح ولم تسأل نفسك:

لماذا قام ابني بهذا التصرف الخاطئ؟!

• أجاد التصرف.. بحكمة:

من المواقف التي صادفتها في هذا الموضوع موقف زميل لي أحسن التعامل مع طالب كان سبب مشكلة كبيرة لكل معلميه لأنه كثير الحركة ونادراً ما تجده جالساً بوضعية السكون، مما أثر على سير الحصص الدراسية عندهم! كل المعلمين فشلوا في التعامل معه باستثناء زميلي هذا، فقد أحسن في تشخيص المشكلة ودراسة حالة هذا الطالب الذي اكتشف أنه يعاني من حالة (النشاط الزائد)، (فقد اتفق هذا المعلم مع الطالب أنه بعد مرور نصف الحصة.. أسمح لك بالخروج من الصف والسير في ممرات المدرسة لمدة ٥ دقائق) وبالفعل نجح زميلي في علاج مشكلته، والجميل أن الطالب استقبل هذا العلاج بفرح وسرور، لذلك نجد هنا أن هذا العلاج قد اكتسب منه المعلم قبول الطالب إضافة إلى عدم تأثر الحصة بسبب نشاطه الزائد!

هذه القطعة (التشخيص قبل التوصيف) هي أهم قاعدة تربوية لحل جميع المشاكل السلوكية ،لأنها وببساطة ستساعدك على معرفة أسباب اتجاه أبنائك لتلك المشاكل والتصرفات الخاطئة، وبالتالي ستقدر على معالجة هذه المشاكل بطريقة مناسبة عندما تحدد نوع العلاج الذي ستتعامل فيه مع صاحب المشكلة، ولعلك تتساءل عن كيفية عمل هذه القطعة؟

١ دراسة المشكلة.
٢ تشخيص الأسباب.
٣ توصيف العلاج.

هذه الخطوات هي التطبيق المثالي للقطعة الخامسة، وحتى يسهل عليك فهمها سأقوم بشرحٍ لكل خطوة من الخطوات الثلاث:

١ دراسة المشكلة :

وتعني أن تُحدد ما هي المشكلة أو السلوك الخاطئ الذي وقع فيه المتربي، فمثلاً، **عندما ترى ابنك لا يحب أن يشاركه أحد في طعامه أو تجده يغضب إذا ما أُخذ منه غرضٌ من أغراضه.** في هذه الحالة أنت بحاجة لتحديد ما هو هذا التصرف، فتقول على افتراض: إنَ هذا الفعل يسمى بـ (الأنانية)، وبهذا التحديد منك تكون قد طبقت ٥٠٪ من هذه الخطوة والـ ٥٠٪ الأخرى في تحديد تعريف هذا المصطلح (الأنانية)، فتقول هي **حب الذات المطلق والشديد حتى ولو على حساب الغير وبغض النظر عن الأذى الذي يمكن أن يلحق بهم!** في هذه اللحظة تكون قد طبقت أيها المربي هذه الخطوة بالشكل المثالي والكامل.

التشخيص قبل التوصيف

٢ تشخيص الأسباب :

في هذه الخطوة أنت على موعد مع استخراج الأسباب التي دعت ابنك للقيام بهذا التصرف السلبي، فتسأل نفسك **ما الذي جعل ابني بهذه الدرجة الكبيرة من الأنانية؟** فتقوم بجمع الأسباب التي قد تكون منها: تعلّم هذه الصفة من أحد المقربين منه في البيت، أو خوفه وعدم شعوره بالأمان جعله يسلك هذا التصرف ... الخ.



٣ توصيف العلاج :

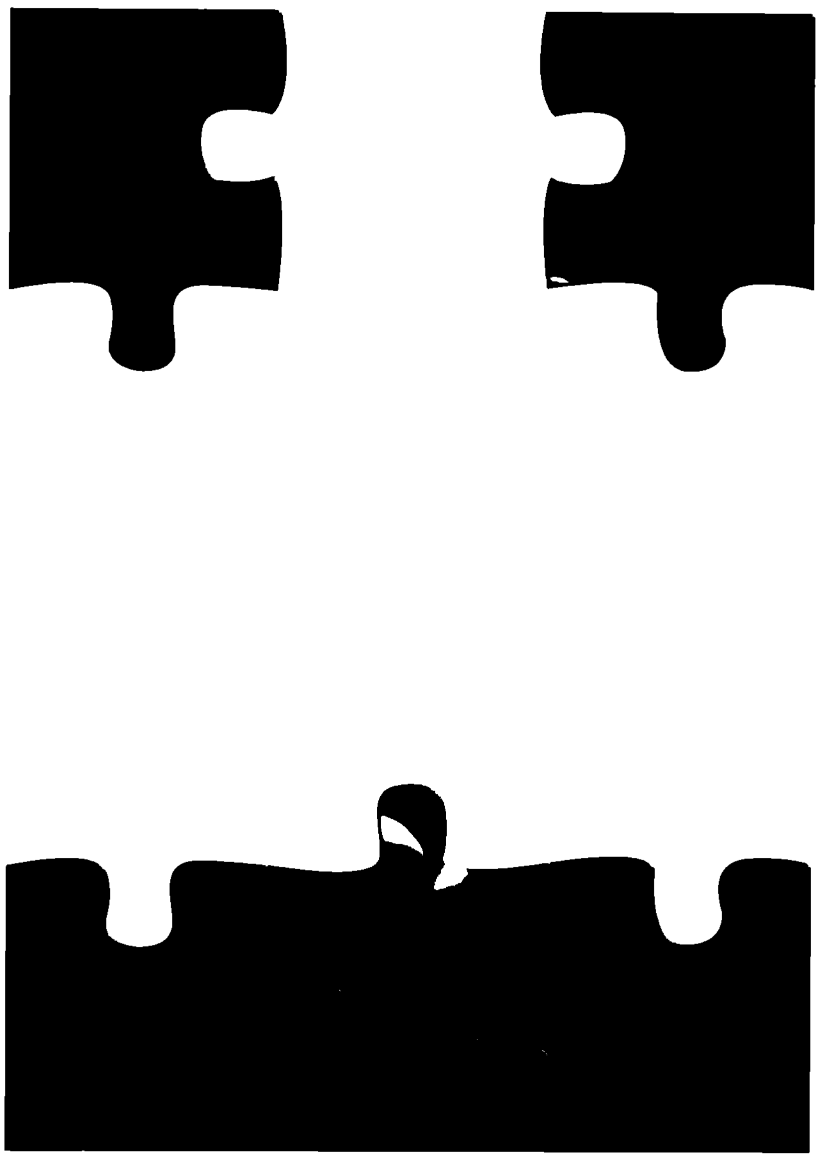
بعد تحديد نوع المشكلة ومعرفة ماهيتها ومن ثم ذكر الأسباب التي أدت لهذا التصرف، تأتي مرحلة وضع العلاج المناسب لها، وتوصيف العلاج يكون على أسباب المشكلة وليس المشكلة في ذاتها، فعندما تكتشف أن المشكلة تدور حول سببين أديا إلى الأنانية فيه وهما: **تعلمه من أحد المقربين، وعدم شعوره بالأمان**، تقوم أيها المربي بوضع علاج لهذين السببين سواء كان علاجاً واحداً أو أكثر.

• انتبه!

عندما تكون دراستك للمشكلة وتشخيصك لها غير صحيح. فأنت ستخطئ إصابة العلاج المناسب. وفي هذه الحالة أنت (كالطبيب الذي يصف علاجاً لمرض غير موجود). والعلاقة بين الخطوات الثلاث لا بد منها. فدراستك الصحيحة للمشكلة تعني أنك ستنجح في وضع الأسباب الصحيحة التي نتجت عنها. وبالتالي سيتيسر لك الطريق في وصف العلاج المناسب.

التشخيص قبل التوصيف

ففي مرحلة علاج المشاكل النفسية والسلوكية. أنت بحاجة لتجربة عدد من العلاجات. فعدم نجاح إحداها مع صاحب المشكلة ونجاحها مع شخص آخر يعاني من نفس المشكلة لا يعني أن العيب في الشخص بل يجب عليك أن تستوعب كمربٍ أن الفروق الفردية والبيئة المحيطة بالشخص تساهم في عدم تقبله لعلاجات قد يتقبلها الآخرون. والعكس صحيح. ففي هذه الحالة يجب عليك أن تُعدّ مجموعة علاجات وتقوم بتطبيقها على صاحب المشكلة خطوةً بخطوة.





(ومضة)

عالج أسباب المشكلة وليس نتيجتها

ضربة واحدة على الجذور خيرٌ من الف ضربة على الأغصان!

أ.د. عبدالكريم بكار

القطعة السادسة: من صَبَر .. ظَفَر

رغم بساطة معناها وسهولة الحديث عنها لِما تتمتع به من وضوح، إلا أن تطبيق مفهوم الصبر صعب جداً في جوانب الحياة لأنها تتعارض مع طبيعة الإنسان الفطرية. يقول اللّه تبارك وتعالى "وكان الإنسان عجولا"، وتبرز أهميتها بمثل حجم صعوبة تطبيقها في المواقف اليومية، ولا يشعر بها إلا من ذاق طعم نتائجها رغم مرارة الطريق فيها كما يقول الشاعر:

الصبر مثل اسمه مُرٌّ مذاقتهُ   لكن عواقبه أحلى من العسلِ

لذلك لن يتذوق حلاوة طعم النتائج إلا من صبر على مقاومة فطرته البشرية التي تنجذب نحو العجلة والسرعة وتبتعد عن التأني والصبر. فالتناقض بين طريق الصبر المر ونتائجه العسلية منطقيٌّ إذا ما وضعنا بعين الإعتبار أن طريق النجاح والإنجاز مفروش بالأشواك والعقبات، ولكنك ستجد الورود والسجاد الأحمر في نهاية المطاف!

حرصت أن أضع القطعة السادسة التي سأتطرق فيها عن موضوع الصبر في التربية مباشرةً بعد القطعة الخامسة التي تحدثت فيها عن تشخيص المشاكل وعلاجها، لأن أهمية الصبر تكمن في وقت علاجنا لمشاكل أبنائنا، فلا فائدة للجهد الكبير الذي يقوم فيه المربي عند دراسة المشكلة والبحث عن أسبابها ووضع العلاج المناسب لها من دون أن تكون لديه صفة الصبر على مشاكل من حوله، إضافةً إلى التأني والتروي أثناء تقديم وصفة العلاج للأبناء.

وإن من أعظم المحفزات التي تجعلنا (كمربين) نصبر على التربية هي في حديث الرسول صلى اللّه عليه وسلم : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، **أو ولد صالح يدعو له**»

• تربية الأبناء تشبه زراعة شجرة البامبو!

هل سمعت يوما عن شجرة البامبو؟ وهل سمعت كيف تتم زراعتها؟ وهل تعلم متى يجني زارعها الثمرَ منها؟ .. هي شجرة مشهورة في الصين، يذهب الرجل ليزرعها ثم يسقيها كل يوم، ويغير السماد لها بين فترة وأخرى، ولا يظهر أي شيء أبداً فوق التربة! ويستمر الرجل في سقايتها وتغيير تربتها إلى مرور سنة أولى كاملة وهي لا تزال على نفس الهيئة دون أي تغيير، ثم تمر السنة الثانية والثالثة والرابعة، يستمر فيها المزارع المسكين بالعناية الفائقة ببذر شجرة البامبو التي لم تخرج فوق سطح الأرض بعد! إلى دخول السنة الخامسة من زراعتها، يظهر برعم صغير جداً، والمفاجأة أن خلال ستة أيام من خروج هذا البرعم الصغير يصل طولها إلى ٩٠ قدماً فوق الأرض!



• سيقان شجرة البامبو

فعدم ملاحظتك ـ أيها المربي ـ لأي تطورات في سلوكيات أبنائك، لا يعني أن وصفة العلاج التي قدمتها لهم لا تنفع، بل سيأتي اليوم الذي ترى فيه علاجك ساريَ المفعول في شخصياتهم، المسأله هنا بحاجة للصبر والتأني كما صبر المزارع على شجرة البامبو خمس سنوات كاملة يرعى هذه الشجرة بكل إتقان وعدم استعجال، فكانتً النتيجة المذهلة أنه خلال ستة أيام فقط بعد هذه المدة الطويلة نبتت البذرة واستقام عودها إلى أن أصبحت تعانق السماء بـ ٩٠ قدماً، كذلك الأمر مع الأبناء، فعلاج مشاكلهم يحتاج منا .. الصبر.

فمن تحمَل المرارة .. حصد الحلاوة

• الطبخ الممتاز يحتاج .. ناراً هادئة!

لن تحصل على الطبق الممتاز على وجبة العشاء إلا بعد وضع القدر على نار هادئة، واستعجال الإنسان عليها برفع درجة حرارة النار بحجة جوعه واستعجاله على الأكل لن ينفعه بل سيفسد بتصرفه كل ما قام به لإعداد تلك الوجبة، فلا تفسد أيها المربي جهدك العظيم وتدمر وصفة العلاجٍ عندما تستعجل طلب الشفاء لمشاكل من حولك، وتذكر دائماً أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال لأشج عبدالقيس يمدح فيه صفاته:

« إن فيك خصلتين يحبهما اللّه: الحلم والأناة»

• أن تكون صابراً لا يعني أن تكون مهملاً!

الصبر والإهمال يشتركان في صفة الانتظار أو السكون، لكن الاختلاف المهم بينهما والذي يجب أن ينتبه له المربي جيداً: أن الصبر فيه انتظار، لكن مع متابعة ومراقبة للتطورات والتغيرات أثناء فترة علاج المشكلة النفسية أو السلوكية، فيلاحظ المربي بدقة إذا ما كانت التغيرات للأسوأ فإن عليه أن يتدخل بهدوء لمعالجة الأمر وتغيير نوعية العلاج المتبع، أو إذا كانت التغيرات للأفضل فيتدخل أيضاً عن طريق كلمات التشجيع المعنوي للمتربي والتحفيز المادي له.

أما الإهمال فأيضاً فيه صفة الإنتظار لكنها دون متابعة ومراقبة من المربي لسلوكيات المتربي. ويكون التصرف بأن يترك المربي متابعة العلاج فور البدء فيها وتركها للظروف كي تتحكم بها. والعلاجات في مفهومها التربوي بحاجة لمتابعة دائمة مع بداية العمل مع صاحب المشكلة، وكذلك عند الإنتهاء من العلاج. فيجب أن تستمر المتابعة لمراقبة التطورات المرتقبة أو التغيرات المفاجئة.

وعلى قدر أهمية الصبر في تربية أبنائنا. فإنها سلاح ذو حدين قد ينتج عنه تعديل لسلوك صاحب المشكلة وعلاج له. وقد ينتج عنه سوء وتفاقم لمشكلته. **ومن يحدد الخيار في هذين الإتجاهين هو مراعاتك أيها المربي لجزئية الصبر مع المراقبة والمتابعة دون إهمال إجراءاتك في العلاج.**

• تسلّح بهذه النصائح

٨ نقاط مهمة ستساعدك أيها المربي علىالصبر على علاج مشاكل المتربين:

١ تعامل مع مشاكل من حولك بناءً على مبادئك وليس كردة فعل على مشاكلهم.

٢ اعلم أن النتائج (الصلاح والهداية) بيد اللّه عز وجل. وأنت مطالب فقط ببذل الأسباب.

٣ طبق دائماً خطوات قاعدة (التشخيص قبل التوصيف) بدراسة المشكلة ثم تشخيص الأسباب وأخيراً توصيف العلاج.

٤ تذكر أن الخطأ طبيعة بشرية (كل ابن آدم خطّاء) وأن مشاكل أبنائك جزء من هذا الخطأ.

٥ ”ليس الشديد بالصرعة. إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب“ ★

★ حديث شريف

٦ تيقّن أن استعجالك للحصول على النتائج (كمن استعجل أكل الفاكهة قبل نضوجها)، فلن تحصل على الطعم المرجو منها!

٧ ابنك لم يجرب صعوبة الحياة ولم يشتد عوده إلى الآن. فهو لا يملك الفهم والخبرة الكاملة التي تمكّنه من تعديل سلوكه بشكل سريع.

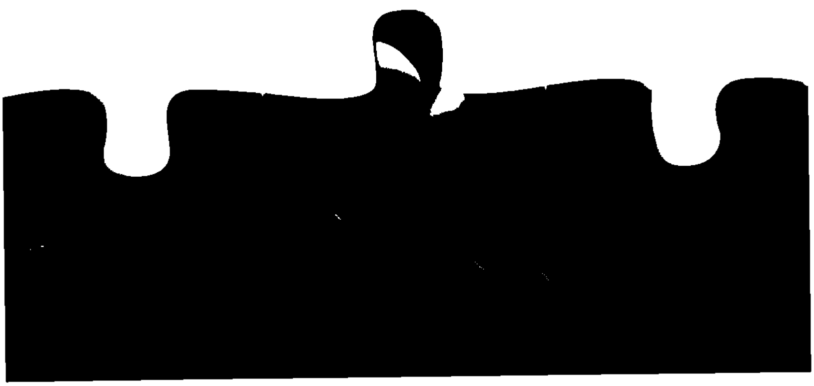
٨ فكر بإيجابية بأن القادم أجمل. وتواصل معهم دائماً عبر **الكلمات المحفزة والتشجيع المعنوي والمادي**.

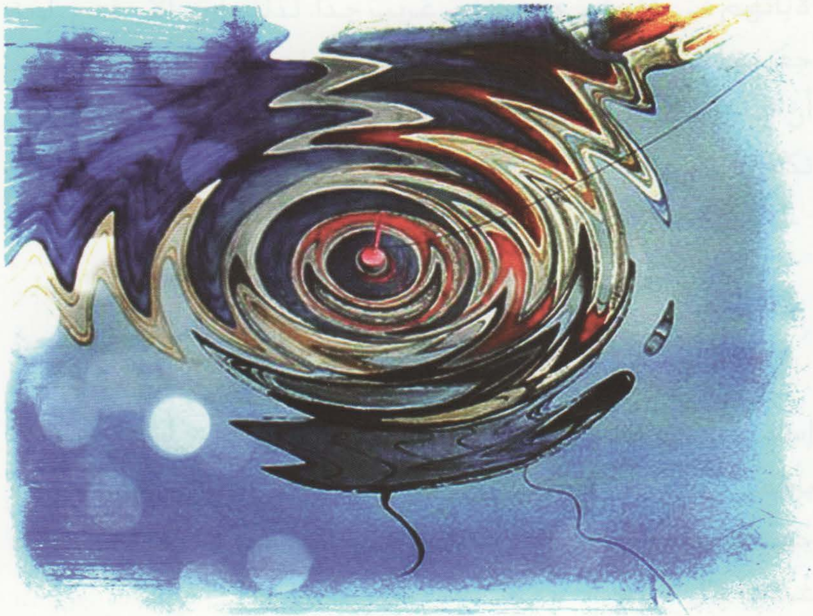
في زمن السرعة الذي نعيش فيه، نحتاج لأن ندرك أن الصبر هو العلاج لكثير من مشاكل المربين في تربيتهم. فعندما تدرك أيها المربي حين تتعامل مع من حولك أنهم ليسوا (آلات حاسبة) تضغط على زر الأرقام التي تريدها فتظهر لك بشكل مباشر النتيجة المطلوبة. بل أنت تتعامل مع عقول تدرك أحياناً وأحياناً أخرى لا تدرك، وتتعامل مع قلوب تحب أحياناً ما نقوم به معهم وأحياناً كثيرة لا يحبونه، لذلك كان عنصر الصبر في عملية التربية أساساً لا يُتخلى عنه.

• أخيراً :

الصبر يحتاج لهدوء نفسي داخلي واتزان لدى المربي لأن العملية التربوية شاقة ومتعبة، وكلما اتصفْتَ بالهدوء والسكون الداخلي كنت أقدر على تطبيق الصبر بشكله الصحيح بأن تتعامل مع المتربي على أساس القواعد التربوية الصحيحة وليس بناءً على ردة فعل على أخطاء من حولك ومشاكلهم، والتي قد ينتج عنها انفجار المربي في وجههم وعدم السيطرة على نفسه، ففي هذه الحالة قد ينتج عنه **سقوط الثقة والحب والأمان بين المتربي ومربيه!**







(ومضة)

يقول الله تبارك وتعالى:

(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

ابذل كل الأسباب الصحيحة أيها المربي، لكن اعلم أن النتيجة على الله وليست عليك.

المؤلف

القطعة السابعة: احترم عقله وهواياته

جميعنا يعرف قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما رآى في المنام أنه يذبح إبنه إسماعيل لمّا قال له: «إني أرى في المنام أني أذبحك ...» وغالبيتنا ننظر إلى هذه الآية الكريمة من زاوية واحدة فقط وهي أن الإبن إسماعيل عليه السلام أطاع أباه رغم صعوبة الطلب وبذلك نذهب لتطبيقها على واقعنا بوجوب طاعة الأبناء لآبائهم في كل شيء وهذا أمر غريب جداً. لذلك أريد الآن فتح زاوية جديدة لك أيها المربي في هذه القصة، فعندما تُكمل الآية تجد أن إبراهيم عليه السلام ذهب وطلب رأي ابنه في مسألة يجب أن تكون محسومة لإبراهيم لأن رؤيا الأنبياء حق فقال:

''إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ...''. ⭑

احترم عقله وهواياته

أيُّ احترام هذا من سيدنا إبراهيم عليه السلام لعقل ابنه إسماعيل عندما طلب رأيه في مسألة إلهية، أشعَره بذلك بأهميته وقدّر عقله وتفكيره بذلك التصرف الذي لم يأخذ وقتاً أو جهداً منه، مما جعل ابنه يجيبه مع إيمانه بخيرية الأمر بالموافقة عندما قال لأبيه:

'' **يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين**'' ⭑

دائما ما أعامل طلبتي في المرحلة الثانوية أن (عقولهم ملك لهم وليست لي) فأطلب دائماً منهم مناقشتي والاعتراض على أفكاري وطلب التفسيرات لكل طلباتي، حتى أنني في إحدى الحصص الدراسية والتي بدأتها بمجموعة من الطلبات مثل (عمر اذهب واجلس في المقعد الآخر.. فيفعل، عبدالله اخلع نظارتك.. فيفعل، ثم رفعت من نبرة صوتي وأكملت، خالد اغلق الدفتر وضعه على الأرض.. فيفعل!)

⭑ الصافات

الغريب أنه لم يردني وأيٌّ سؤال عن سبب طلباتي والذي منها غير المنطقي. وهذا ما دفعني لرفع نبرة صوتي أمامهم. ثم بعدها أخبرتهم أني متضايق جداً بسبب تنفيذكم لطلباتي من دون سؤال منكم عن: (لماذا يا أستاذ أغير مكاني؟ لماذا أخلع نظارتي؟ لماذا أضع دفتري على الأرض؟) أردت ببساطة من هذا الموقف المتعمد أن أعلمهم على أن يحترموا عقولهم. وأنا بدوري بهذا التوجيه أحترم تلك العقول.

هذه القطعة حساسة جداً وتحتاج منك أيها المربي أن تلتزم بها بذكاء شديد ورعاية، لأنك تتعامل مع عقل المتربي الذي يريد منك أن **تحترمه وتحترم اختياراته**، وأيضاً تتعامل مع قلبه الذي يريد منك أن **تقدّر وتحب هواياته وتشاركه فيها**. فعندما يشاهد المتربي هذا التصرف النبيل منك في السماح له بممارسة هواياته وأن تشاركه فيها وتشجعه على اختياراته وتحترم عقله فإن درجة الثقة والحب بينكما ستتضاعف كثيرا.

يقول الدكتور عبدالله عبدالدايم:

"لقد كانت هذه التربية الماضوية - أي القديمة - عملية منظمة لاغتيال العقول والنفوس، وتعبئتهابالأفكار والاتجاهات والقيم التي تدفع المتعلم إلى جعل عقله في أذنيه في عصر التغير السريع الهائل. حيث لا يكون المستقبل حتى القريب منه مجرد امتداد للحاضر والماضي بل سيشمل من وجوده أساسية انقطاعاً عنهما وولوجا في عهد جديد من عهود الإنسانية" *

فانعدام احترام المربي لعقول أبنائه واستخدامه للأسلوب الديكتاتوري في التعامل سينتج عنه كما قال الدكتور عبدالله عبدالدايم أن يكون عقل المتربي في أذنيه بدلا من رأسه وهي إشارة منه أن ما قد يسمعه المتربي ممن حوله بغض النظر عن صحته أو خطئه سيأخذه ويعمل به دون كشفها والنظر في صحتها.

---

* نحو فلسفة تربوية عربية

وهذه نتيجة منطقية للتربية الفرعونية كما ذكرتها سابقاً من قبل المربي، فلا تتوقع من شخصية هذا الإنسان المقهور والمهدور حقه في صغره أن يكون في المستقبل شخصية قائدةً لذاتها فضلاً عن قيادة غيرها والتأثير فيمن حولها، لأنه سيتصارع فكرياً وسلوكياً ومهاراتياً مع أشخاص لم يتربوا بمثل هذه التربية التسلطية.

يذكر المهندس السعودي عمر خليفي عضو مجلس أمناء منتدى الفكر العربي أن أحد رجال الأعمال العرب لا حظ عند تحليل شخصية الفرد العربي في موقع عمله، ظهور الصفات التالية:

١ ينشأ في بيت هو المحكوم فيه والأب هو الحاكم، لا رأي له ولا قيمة معنوية، له فقط قيمة عاطفية بحكم الصلة الوراثية وليس الصلة الإعتبارية المستقلة.

٢ الذكي منهم خلال فترة مراحل التعليم يبرع في الحفظ عن ظهر قلب ثم القدرة على سرد ما حفظ من دون وعي كامل لمغزى الموضوع أو مدى تطبيقه في الحياة العملية!

احترم عقله وهواياته

٣ يفتقر إلى المقدرة على التحليل والتجربة ويميل إلى اتباع التعليمات الإنهزامية.

٤ يفتقر إلى بذل أقصى جهده، بل يتقاعس ويتهرب من إتمام عمله في وقت أقصر.

٥ لا يلتزم بالمواعيد، كثرة التغيب، ويتهرب من المسؤولية، ولا يتورع عن المغالطة والمكابرة والكذب.

٦ يميل إلى الفردية ولا يحسن التصرف في العمل الجماعي، كثير التملق والمبالغة في المجاملات والمديح لكسب ما لا يستطيع كسبه عن طريق العمل والتفوق!

هذه عينة بسيطة في مكان، وأجزم بأنك تراها في محيطك في الكثير من الأشخاص، فهذه الصفات هي نموذج (للإنسان المقهور)

الذي تربى في بيئة لا تحترم عقله ولا تسمح له بممارسة هواياته، **''وقد أجمع علماء الاجتماع والتربية على أنَ الإقناع العقلي خيرٌ كأسلوب تربوي من الترغيب فضلا عن الترهيب في تعديل مشاكل المتربين''**.

ففي هذه القطعة أسلّط الضوء على عقل المتربي وهواياته لِما يَمتلِكانه من مكانة مؤثرة في المستقبل إذا ما أحسنّا رعايتهما، فلقد تطرق د. مصطفى حجازي في كتابه الرائع (الإنسان المهدور) إلى هذه الجزئية لكن بتعبير آخر قائلاً: ''هدر (أي عدم الاعتراف) بفكر الإنسان ووعيه وطاقاته تُصيب حيوية المجتمع ونماءه في الصميم، إذ هي تتركه في حالة الانكشاف وفقدان المناعة اتجاه الضغوط الخارجية المتنامية.... وصحة أي مجتمع ونمائه وقوته تتوقف على حيوية (فكر) الإنسان، ويقظة (وعيه)، وقوة (طاقاته) وحسن توظيفها'' *

فأعظم هدر قد يحدث في هذا الكون هو ما يُصيب شخص الإنسان عبر هدر فكره ووعيه اللذين يمثلان عقله، وهدر طاقاته والتي تمثل هواياته وما قد يجيده ويتقنه في أمور الدنيا، إنّ هذا التصرف سينتج عنه لا محالة فقدٌ لهويّة الإنسان وحجْرٌ لعقله، وبالتالي فقد لهوية وفعالية المجتمع. فالإنسان من حيث التعريف **هو ذاك الكائن المفكر والمعبّر**، وإذا ما أُعدم فكره ومُنع عنه التعبير.. فقَدَ إنسانيّته.

وهنا يبرز دور المربي في مواجهة مشكلة هدر (فكر ووعي وطاقة) المتربي، فهو يلعب دور المجرم والمصلح والداء والدواء فيها، فشريحة كبيرة من المربين تمارس وبإحترافية دور المجرم والداء في قتل لعقول المتربين ومنعهم من ممارسة هواياتهم، وشريحة أخرى تلعب دور المصلح والدواء لهذه المشكلة العصيّة، فالإنسان خاصة والمجتمع عامة بحاجة ماسّه لمن بقوم بتفريخ **جيل صلب الفكر، شديد الوعي، قوي وإيجابي الطاقات، والذي هو نموذج (لإنسان المستقبل)!**

---

* بتصرف، ك: الإنسان المهدور ـ ص ٢٦١

• نموذج إنسان المستقبل:

قد تتبادر إلى ذهنك الآن ماهيّة الصفات أو الشمائل التي يجب أن نربي بها الأبناء حتى يكونوا على مستوى الحدث في المستقبل بفكرهم ووعيهم وطاقاتهم. وهنا أشير أن الدكتور محمد جواد رضا قد أجاد الوصف في كتابه (الإصلاح التربوي العربي) في النموذج الإنساني للشخصية المستقبلية والتي يجب أن يكون فيها من:

١ الكفاية.

٢ الجد.

٣ اتباع النظام.

٤ الدقة والإحترام واحترام الذات.

٥ الإلتزام بالمواعيد والعمل وتحمل المسؤولية.

٦ الصدق.

٧ العقلانية في عمل ما ينبغي عمله، والتحرر من الإعتماد على التقاليد الجامدة.

احترم عقله وهواياته

٨ التحرر من الولاءات الفئوية والجهوية.

٩ التحرر من التفكير الخرافي ومن التعصب.

١٠ الإستعداد للتغير.

١١ التيقظ للفرص السانحة في هذا العالم المتغير.

١٢ الحيوية في ابتكار المشاريع.

١٣ الامتناع عن قبول (المعروف) بدلا من المطالبة (بالحق).

١٤ الإستعداد للتعاون مع الآخرين وتعلم العمل الجماعي القائم على الشراكة الكاملة والمسؤولية الجماعية عن التطور والمصلحة الإجتماعية.

١٥ تعوّد النظر البعيد واجتناب التهور ومعرفة قيمة المال وقيمة توفيره.

• كيف نصنع هذا النموذج؟

الصفات الـ ١٥ السابقة لشخصية إنسان المستقبل الناجح والمؤثر والتي يجب أن تضاف لها الجوانب الإيمانية والأخلاقية كما وضحت في القطعة الرابعة لن تُصنع إلا **بتحرير طاقته العقلية وإتزان طاقته النفسية** وذلك عبر:

١ إشراكه في القرارات المهمة في المنزل وخارجه.

٢ تربيته على اتباع الفكرة والحقيقه وليس الأشخاص.

٣ الاستماع له عندما يسأل وعدم الغضب على كثرة أسئلته.

"قال لزوجته اسكتي!
قال لابنه انكتم!
صوتكما يجعلني مشوش التفكير.
لا تنبسّا بكلمة.
أريد أن أكتب عن حرية التعبير!!" أحمد مطر

١ **اجعل له مساحة لممارسة هواياته وشاركه فيها.**

الهواية قوة لطيفة. تقوّم سلوكيات الإنسان وتملأ وقت فراغه بما هو نافع ومفيد.

٢ **بين فترة وأخرى، اطرح قضية مع أبنائك وحاورهم وناظرهم في الموضوع، وقد قيل** :«مطارحة ساعة خيرٌ من تكرار شهر.»

٣ **العمل على تحفيزه وتشجيعه بنوعيه المعنوي والمادي عند الإنجاز والتفوق، وتوجيهه باللين واللطف عند خطئه وتقصيره.**

كافئ وشجع من حولك على جهودهم وعملهم، وليس حسب نتائجهم!

٤ **تربيته على عدم تصديق أي فكرة أو معلومة إلا بعد عرضها على عقله والبحث فيها، يقول الجاحظ في كتابه (الحيوان)**

" العامة أقل شكوكاً من الخواص، وعلى هذا فهم لا يتوقفون في التصديق أو التكذيب ولا يرتابون بأنفسهم، فليس عندهم إلا الإقدام على التصديق المجرد أو التكذيب المجرد!

٥ اشركه في النوادي والمراكز التي تنمي مهاراته العقلية والسلوكية، فإن احتكاكه الكثير والهادف مع المجتمع يقوي من المهارات القيادية عنده.

٦ لا تُلزمه بخيار، بل اجعله يختار بنفسه.

عندما تجعل ابنك يختار ما يريده من مجموعة خيارات صحيحة أنت تضعها، فإنك تزرع **في عقله الاستقلالية، وفي قلبه الثقة، وفي سلوكه المبادرة وعدم التردد!**

٧ كن أيها المربي نموذجا صالحاً له!

- **اجعله حراً في اختياراته .. يكن مسؤولاً عن تصرفاته:**

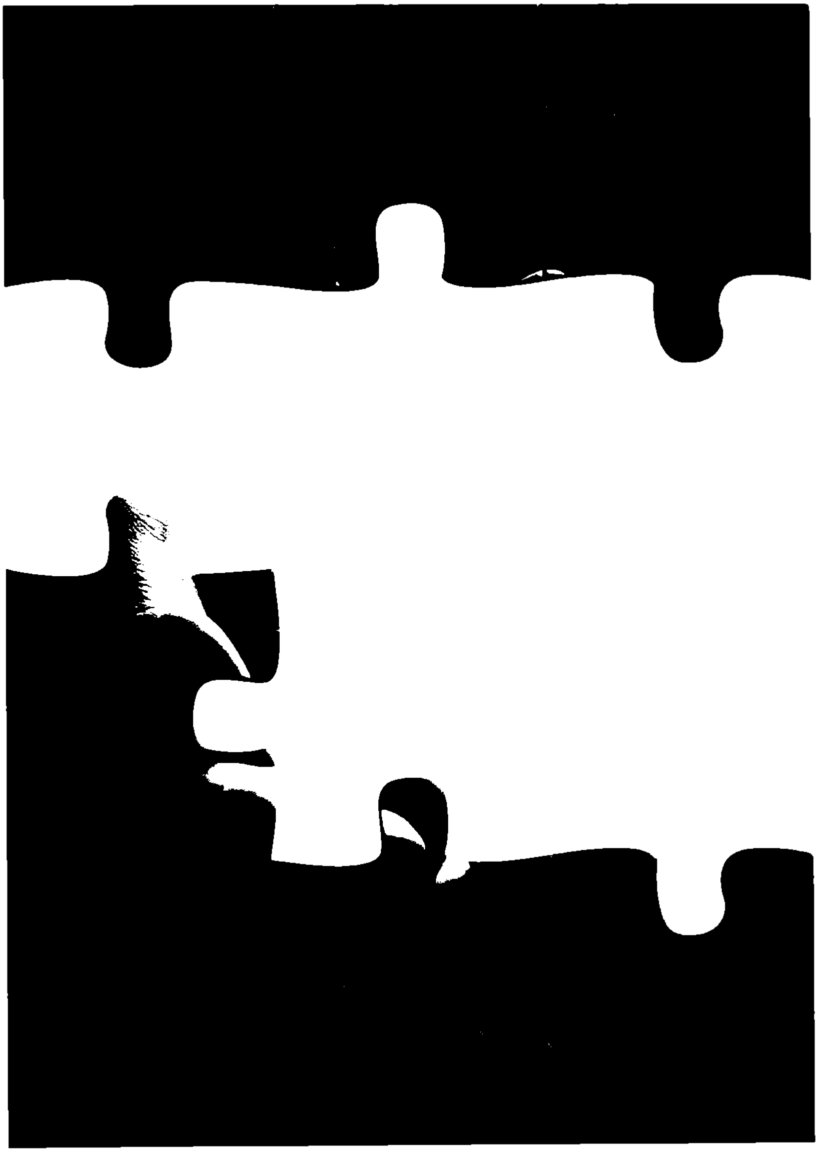
هذه من القواعد التربوية المهمة في تعاملنا مع الأبناء واحترام عقولهم واختياراتهم، فلن تستطيع أيها المربي غرس قيمة المسؤولية فيهم إلا عندما تمنحهم مساحة كبيرة من الحرية في اختياراتهم، وعلى ذلك يقول الدكتور محمد عابد الجابري: "غني عن البيان القول إنّ الحرية شرط ضروري للمسؤولية. ففي جميع الديانات وفي جميع الفلسفات لا يعتبر الإنسان مسؤولا إلا بما صدر عنه **بحرية واختيار**، فالحرية هي الشرط الأول للمسؤولية. وسواء تعلق الأمر بالمسؤولية أمام القانون أو اللّه أو بالمسؤولية أمام الضمير."*

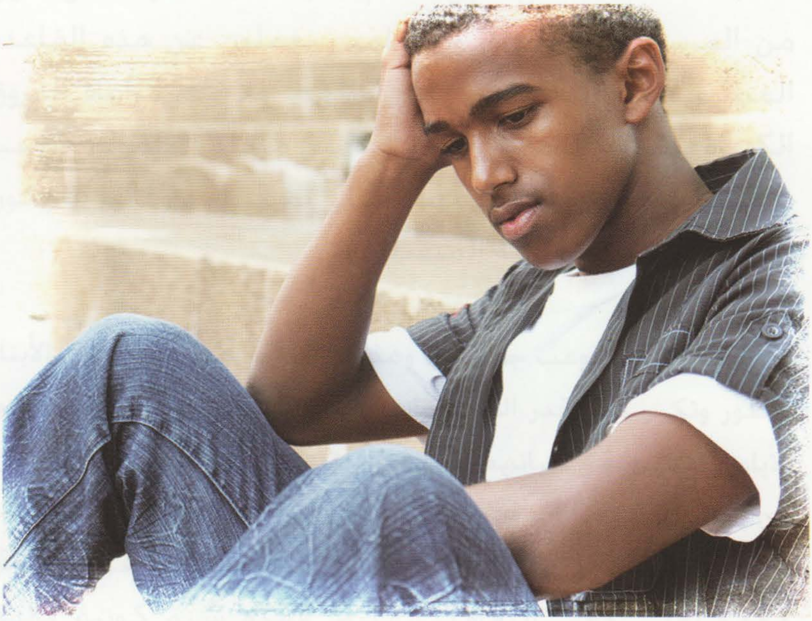
احترم عقله وهواياته

فكلما وسّعت في دائرة الحرية من طرفك، توسعت معها دائرة مسؤولية الأبناء على تصرفاتهم، وبالتالي يكون حسابك على تصرفاتهم منطقياً، لأنها كانت بمحض إرادتهم واختياراتهم من دون تدخل أو إكراه منك.

مثال: لو افترضنا أنك قمت بإلزام أحد أبنائك على دخول تخصص دراسي هو لا يرغب فيه ولا يناسبه، حينها لن تستطيع تحميله مسؤولية هبوط درجاته الأكاديمية لأنه لم يختره بل دخله إلزاماً منك وطاعةً لك. وأما لو كان الإختيار الكامل لإبنك .. ستستطيع محاسبته عند تقصيره لأنك في هذه الحالة تكون قد أعطيته مساحة من الحرية ليختار منها ما يريد، فارتفعت معها مسؤوليته عن هذا الاختيار.

* العقل الأخلاقي العربي ص: ٩٧





(ومضة)

" إن من كان مربّاه بالعسف والقهر من المتعلمين .. سطا به القهر وضيّق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي عليه بالقهر، وعلمه المكر والخديعة لذلك صارت له عادة وخلقاً وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالاً على غيره في ذلك، وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين"

ابن خلدون ـ المقدمة

القطعة الثامنة: لكل مرحلة طريقة في التعامل

هذه القطعة أطلق عليها اسم "القطعة المنسية"، لأن كثيراً من المربين الآباء منهم والمعلمين يغفلون عن هذه القاعدة المصيرية في التعامل مع من حولهم، فلا يتم مراعاة الفروق الكبيرة وطريقة التعامل المختلفة بين مرحلة الطفولة والصبا والمراهقة، فيتم التعامل معهم على نمطٍ واحد وغالباً ما يكون على الطريقة الطفولية المتسلطة..

ويجب أن نستوعب جميعاً ـ وهذا أمر مهم جداً ـ أن عقول الأبناء تتطور وتكبر على قدر المعلومات والخبرات التي تضاف لهم بمرور الأيام والشهور في حياتهم، وما في قلوبهم أيضاً يتغير بمرور الزمن، من اهتمامات وهوايات ومحاب ومكاره وغيرها، وهذا ينتج عنه تغير في شخصيات الأبناء وبالتالي يطلبون نوعية جديدة في التعامل معهم على خلاف التعامل القديم، فهذه سُنّة كونية فالماء الساكن يفسد، كما أن التعامل الساكن الذي لا يتطور ولا يتغير يفسد، والنتيجة هي عدم تقبُّل من حولنا لهذا التعامل، لذلك تحتاج أيها المربي أن تعطي هذه القطعة حقها وأن لا تهملها.

- عملية التربية كعملية الطبخ!

فهما يتشابهان كثيراً لأن لكل فترة في التربية والطبخ خطواتها وعملها، فلو وضعنا كل شيء في وقت واحد فسدت التربية كما تفسد الطبخة، فحتى لا تفسد عملية طبخ عقول وقلوب أبنائك، أقدم لك أيها المربي هذه الجداول الثلاثة التي ستوضح لك ما هي حاجات كل مرحلة في الجدول رقم ١، وأفضل المواضيع التي تربي عليها في كل مرحلة في الجدول رقم ٢، وأخيراً الوسائل التي تنفع لكل مرحلة في الجدول رقم ٣:

المرحلة الموضوع	الحاجات المهمة
مرحلة الطفولة	الحب والحنان ـ القرب منه ـ الكلمات التشجيعية ـ حوافز مادية ـ تفريغ طاقته الهائلة بشيء نافع ـ حاجته للعب والترفيه ـ العفوية والحيوية
مرحلة الصبا	أن يعرف حقوقه وواجباته ـ إحتواؤه والقرب منه عند تعرضه للمشاكل ـ تشجيعه الدائم عند أي تصرف إيجابي ـ حاجته للفرح والسرور ـ الإنطلاق ـ الإبداع
مرحلة المراهقة	الحوار معه ـ حرية الاختيار ـ إشراكه في القرارات ـ معاملته كرجل/ كامرأة ـ عدم التضييق عليه ـ تقديره واحترامه ـ أن تثق به ـ الإنصات له ـ الثناء على انجازاته ـ شعوره بالأمن في محيطه ـ يحب أن يتعرف على محيط اجتماعي جديد دائماً ـ حاجته للضحك ـ عدم انتقاده ـ حاجته للتعلق برمز

المرحلة الموضوع	المواضيع التي يُربى عليها
مرحلة الطفولة	الأخلاق الحميدة (التركيز على فضيلة الصدق) ـ تعليمه وترغيبه بالصلاة والصيام ـ الأدب مع اللّه والناس ـ حفظ القرآن الكريم ـ بر الوالدين ـ الآداب الاجتماعية «أدب الطعام / أدب الحديث / أدب المجالس ...»
مرحلة الصبا	تقوى اللّه ومراقبته في السر والعلن ـ تعليمه تاريخ المسلمين ـ حثه على القراءة وحب المعرفة ـ حفظ القرآن الكريم ـ الأخوة والترابط الاجتماعي مع الأصحاب ـ إستثمار الوقت
مرحلة المراهقة	الجوانب الإيمانية والعلاقة الصحيحة مع اللّه تعالى ـ العلم الشرعي ـ غرس قيمة العمل التطوعي فيه ـ حب الخير للناس ـ تدريبه على مهارات الحياة والسلوك والتفكير ـ ممارسة هواية ـ التخصص في مجال محدد

المرحلة الموضوع	الوسائل الصحيحة والمناسبة في التعامل
مرحلة الطفولة	عن طريق سرد القصص المهدَّفه ـ أن تكون قدوة له ـ الحوار معه في مواضيع مفيدة ـ عرض الصور الهادفة عليه والتفاعل معه عن طريق الأسئلة عليها ـ المشاهد التربوية الهادفة (youtube)
مرحلة الصبا	التوجيه المباشر اللطيف ـ حثه على اكتشاف القيم بنفسه عن طريق البحث ـ توجيهه لصحبة صالحة ـ ضرب الأمثلة والتشبيه له ـ الإقناع العاطفي
مرحلة المراهقة	تربيته على تحمل مسؤولية حياته بنفسه ـ إشراكه في القرارات المهمة التي تخصه وكذلك التي لا تخصه ـ أن تكون نموذجاً صالحاً له ـ التربية الهادئة بعيداً عن الإنفعال ـ ملء وقت فراغه بما هو نافع له ـ الحوار الدائم والهادف معه ـ الإقناع العقلي

بعد عرض الجداول السابقة وما تحمله من معلومات مهمة، يجب الآن أن أوضح أمراً لا يقل أهمية عما تم عرضه، وهو متى تبدأ هذه المراحل ومتى تنتهي:

١ سن الطفولة:

هي المرحلة ما بين فترة الرضاعة إلى مرحلة الصِّبا، أي تبدأ من ولادة الطفل إلى عمر ٧ سنوات.

٢ سن الصبا:

وتبدأ من عمر ٨ سنوات إلى فترة المراهقة بعمر ١٢ سنة.

٣ سن المراهقة:

وهي مرحلة ما قبل البلوغ تبدأ عند سن ١٢ وتنتهي في ١٧ سنة، وهنا توجد جزئية مهمة كثيراً ما يعتقد الآباء أن فترة المراهقة تقع في فترة البلوغ وهذا خطأ شائع، بل "المراهقة مرحلة تسبق البلوغ وليست هي مرحلة البلوغ" كما يقول محمد قطب، وأشار إليها المختصون في مجال التربية، فهذه معلومة تترتب عليها أمور عديدة عند التعامل مع هذه الفئة ويجب حينئذ العناية بها.

٤ سن الرشد:

هنا تبدأ مرحلة ما بعد البلوغ وهي مرحلة التكليف الشرعي الإلهي، فيكون الإنسان في هذه الفترة محاسباً أمام اللّه بكل صغيرة وكبيرة قولاً كانت أو فعلاً.

• هرم ماسلو للاحتياجات:

بما أني تطرقت للحديث عن احتياجات كل مرحلة، فلزاماً علي الآن أن أذكر هرم ماسلو للاحتياجات التي ابتكرها عالم النفس الأمريكي ابراهام ماسلو لما فيها من أهمية كبيرة للتعرف عليها وتطبيقها أثناء تربيتنا لمن هم حولنا والتي تتلخص في هذه الرسمة التوضيحية:



• هرم ماسلو للاحتياجات

وضحت في سابق الصفحات أن حاجات الإنسان تتغير من مرحلة إلى أخرى، وقد أثبت ماسلو في نظريته النفسية أن الحاجات تتطور وتكبر كما هو موضح في المثلث. فالإنسان في بداية مراحل حياته يحتاج للجوانب الفسيولوجية المتمثلة في أسباب العيش، وهي الهواء والطعام والشراب والنوم ... ثم تتطور وتكبر إلى حاجة الأمان ثم إلى حاجة تكوين الصداقات والانتماء، مروراً إلى حاجة تقدير ذاته والإعتراف به، وأخيراً حاجة تحقيق ذاته وإثباتها عبر السير في حياته بالطريقة التي يحبها ويبدع فيها.

هذه الحاجات التي ذكرها ماسلو تكّون توتراً كبيراً وسلبية في حالة عدم اشباعها في ذات المتربي، فيبدأ حينها بالخروج عن طبيعته التوازنية إلى افتعال وابتكار المشاكل التي تعيقه وتعيق من حوله، فلو ركزنا كمربين على إشباع من حولنا على هذه الإحتياجات سنجد تطوراً كبيراً في شخصيتهم وسهولة أكبر في التعامل معهم.

وأنت أيها المربي، لست بحاجة للتعامل مع هذه النظرية بالتدريج، بحيث تبدأ بالحاجة الأولى ثم تنتقل للثانية والثالثة وهلم جرا، لأن هذه الطريقة هي من الانتقادات التي وجهت للنظرية، فالإنسان ربما يحتاج إلى إشباع أكثر من حاجة في نفس الوقت أو ربما يحتاج أن يعيد إشباع حاجة قد قام بإشبعها خلال مراحل زمنية سابقة، فلا أؤيد الجمود الذي وضعه ماسلو بل أدعو إلى المرونة والانتقال بين هذه الحاجات بطريقة تفاعلية حتى لو كانت متزامنة، والمهم لدي أن نركز كمربين عليها وإشباع الأبناء منها.

- **فهم المراهق، أولى مراحل احتوائه:**

كتبت قبل فترة مجموعة تغريدات في برنامج التواصل الإجتماعي (التويتر) عن شخصيّة المراهق وقد لاقت بعض التفاعل من المتابعين الكرام . فأحببت أن أخصص محوراً كاملاً

أتحدث فيه عن هذه المرحلة لأن موضوعها مهم وشائك بنظر الكثير ممن يتعامل مع هذة الفئة المظلومة جداً برأيي.

وتأتي جزئية كونِهم (مظلومين).. عند التعامل المباشر من قِبل المربين وأولياء الأمور معهم دون الحاجة لفهم هذة الشخصية ومعرفة حاجاتها الأساسية التي لا ينصلح حالهم إلَا بها. فتكون طريقة التعامل معهم على أدوات تربوية تقيّد السلوك والفكر والمشاعر مثل (التوجيه الصارم ـ المراقبة الدائمة ـ الأوامر ـ النصائح المتكررة) وغيرها من الأدوات التي لا تنفع مع شخصية المراهق.

وكما هو العنوان، فإن فهم شخصيته هي أولى خطوات احتوائه واستيعاب مشاكله، فشخصية المراهق أشبة بآله شديدة التعقيد في الاستعمال، فلا يمكنك مجاراتها في التعامل إلا بعد قراءة و (فهم) طريقة استخدامها، فمن دون هذه الخطوة سيكون عملك أقرب إلى تخريب هذة الآلة، لذلك كانت أولى خطوات التعامل مع المراهق تَكمن في (فهمه)، ثم بعد ذلك تأتي خطوة تلبية احتياجاته كما تم توضيحها في القطعة الثامنة، وستقدر أيها المربي على تلبيتها بعد معرفة الإجابة على هذا السؤال:

هل المراهق طفل، أم شاب ناضج ؟

إذا قمت بالإجابة عن هذا السؤال إجابةً علميةً صحيحة فإنك ومن دون مبالغة قد اجتزت مسافة كبيرة في سبيل احتواء هذة الشخصية المظلومة وتشخيص شخصيَته.

ليس المراهق طفلاً ولا شاباً ناضجاً، لكنه بمرحلة ما بين هاتين المرحلتين، والإضافة العلمية هنا أن للطفل احتياجات أساسية ونفس الشيء مع الشاب الناضج، والمراهق يحتاج لمميزات

المرحلتين (الطفولة والشباب) فعندما يتم التعامل معه من قِبل المربين وأولياء الأمور فهو يريد من الطفولة حاجات (الحنان ـ العطف ـ الحب ـ الرعاية ـ المزاح) ويحتاج من الشباب حاجات (مساحة لإدارة حياته ـ المشاركة في قرارات كبرى تخص الأسرة ـ تحميله المسؤولية ـ الحوار معه) وبالإضافة إلى ذلك، هو لا يحتاج للرقابة والتوجيه الدائمين وكثرة النصائح بل يريد ممن يرعاه أن يعامله كرجل/ امرأة، وهذا مطلب يجب أن يعيه المربي، وأن يعرف كذلك أن المراهق مازال يحتاج إلى حاجات الطفل وعدم إهمالها، والفاصل هنا أن كل شيء قائم على التوازن (لا إفراط ولا تفريط) طريقه النجاح بعد توفيق اللّه تبارك وتعالى.

• في الطريق للبيت الجديد !

أرى مرحلة المراهقة كمن باع بيته القديم واشترى بيتاً جديداً، وهو في طريقة من بيته القديم إلى الجديد تجد شعوره ما بين حنينه وحبه للمنزل القديم ورغبته وحماسته للبيت الجديد، وهذا ينطبق على المراهق، فهو في مرحلة عبور من المنزل القديم (الطفولة) إلى المنزل الجديد (الشباب) فتجد أنه يحتاج لميزة المرحلتين، كما هو شعور هذا الشخص المنتقل من منزل لآخر.

كثير من المربين يجدون صعوبة بالغة في التعامل مع فئة المراهقين، وتكثر شكواهم على من هم في هذه المرحلة بسبب كثرة مشاكلهم التي لا حصر لها، وكذلك عدم توفر طريقة مثالية لمعالجة هذه المشاكل التي يمرون بها (على حد قولهم)، وبهذه التهمة من المربين أتذكر سؤالاً جميلاً للأستاذ عبداللّه الطارقي يسأله للمربين:

أزمة الهوية .. أم تأزيم المجتمع؟

سؤال مهم يحتاج منا الوقوف قليلاً والتفكر فيه، فهل مشاكل المراهقين الكثيرة دليل على مشكلة واضطراب هويتهم؟ أم أن

السبب في ذلك تأزيم المجتمع لهم وسوء التعامل معهم؟ وإذا ما افترضنا أن المشكلة تكمن في المراهق وليس المجتمع فما هو السبب الذي جعله يسلك طريق المشاكل والمصائب؟ فلو فكرنا بمنطق في هذه الأسئلة لوجدنا أن المشكلة الأساسية تكمن في طريقة تعامل المجتمع والمربين مع المراهقين (المظلومين) كما أسمّيهم.

والمشكلة الأساسية في هذه الجزئية أن المربي لم يُحسن تطبيق هذه القطعة (لكل مرحلة طريقة في التعامل) فنجده يعامل المراهق معاملة الطفل. لأنه لا يعرف إلا طريقة واحدة في التعامل مع المتربين وهي معاملتهم كأطفال. رغم أن حاجات وخصائص المرحلتين (الطفولة والمراهقة) تختلف كلياً عن بعضها البعض. فغالباً ما يُقارن بين سهولة تربيته للطفل وصعوبة تربية المراهق! وهنا الظلم في المقارنة. فسهولة تربية الطفل تأتي بسبب قصور الفهم والتجربة لديه. وسعتها وكبر حجمها بالنسبة للمراهق. فهذا الأخير لا يتقبل الجديد والصحيح بسهولة بمثل حالة الطفل. ولأن الأسلوب المتبع لدى بعض المربين هو أسلوب الأمر والإلزام والذي لا ينفع أبداً مع المراهق. **أتت صعوبة التعامل معهم وكثرة مشاكلهم.**

الآن. سأوضح لك أيها المربي على شكل نقاط متسلسلة ومبسطة: كيف تتعامل مع المراهق بطريقة عصرية تُعجبه ولا تضره:

١ عليك في البداية أن تفهم المراهق عن طريق تعرّفك على حاجاته النفسية وأن تتعامل معه من خلالها. وقد كتبت جزءً منها في (القطعة الخامسة).

٢ كثير من المراهقين يعتمدون في تفكيرهم وسلوكهم على ردّة الفعل على الفعل المقابل أمامه. لذلك أصلح فعلك معه ينصلح رد فعله.

٣ إذا استعملت أسلوب المواجهة معه، فإنه سيجاريك في الصدام. فالأنسب أن تتغافل عن بعض مشاكلهم واكثر من الحوار معهم وإعطائهم فرصة للحديث.

٤ قلل قدر المستطاع من أسلوب الوعظ والنصح المباشر معه، واستعن أن تكون قدوة ونموذجاً له في الأمور التي هو مقصّر بها.

٥ ارفع درجة الحب والتقدير معه حتى عندما يكون في أسوأ لحظاته ومشاكله.

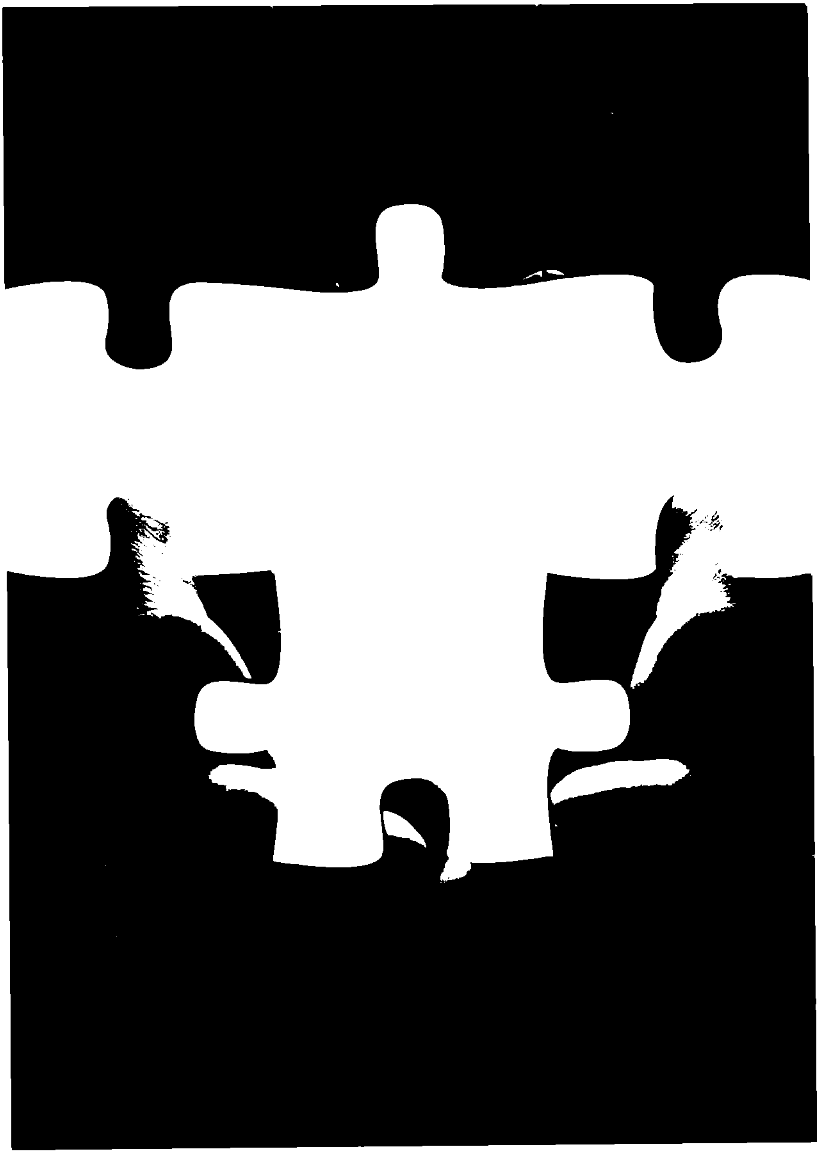
٦ اعطه حقوقه.

٧ كن صاحباً له.

٨ لا تشتمه ولا تعنّفه ولا تقطع علاقتك معه وابتعد عن الصراخ عليه.

٩ اشركه في عملك .. اجتماعاتك المهمة .. هواياتك .. قراراتك.

١٠ شاركه في اهتماماته .. هواياته .. امدح أفكاره وآراءه.





(ومضة)

تتميّز مرحلة (الطفولة) بحب الانتماء، وتحتاج منك إلى العطف والحنان.

وتتميز مرحلة (الصبا) بحب الاستكشاف، وتحتاج منك أن تسمعهم وتصبر على أسئلتهم، وتعليمهم كل جديد .

وتتميز مرحلة (المراهقة) بحب الاستقلالية، وتحتاج منك إلى إعطائهم الحرية في إختياراتهم وإشراكهم في القرارات، وإعطائهم الفرصه لتكوين علاقات اجتماعية.

المؤلف

هذه القطعة أرستقراطية وفخمة جداً فهي تعبّر عن ثقافة المربي العميقة، لأنه من النادر أن تجد من يتعامل مع هذه القطعة ويطبقها، والسبب ليس في صعوبتها وليس لغياب البدائل التي تقدم للأبناء في حالة منع الشيء عنهم، لكن السبب الرئيسي في ذلك أن المربي يفضل استخدام الأسلوب الأسهل وهو المنع، ثم يقف وكأنه انتهى من المشكلة وعلاجها!

هنا أنا أتحدث عن أرقى القطع وأصعبها والتي يجب أن تكون صفة في كل مربٍ مبدع وناجح، فعندما نذكر نجاح المربي وإبداعه يجب أن نذكر أنه مطبق لهذه القاعدة، لأنه لا يكتفي بمنع من حوله من الأشياء السلبية واختياراتهم الخاطئة وفهمهم القاصر والتي قد تشكل خطورة على سلوكياتهم، بل يضيف على منعه بديلاً ناجحاً ومقبولاً لهم، وتُعطي هذه القطعة عند وجودها في المربي السمع والطاعة والحب من قبل المتربين تجاه مربيهم.

وتكمن صعوبة تطبيق هذه القطعة في أمر واحد، وهو الذي جعل المربين يبتعدون عن تطبيقها رغم أهميتها، **وهي كثرة اختيارات الأبناء الخاطئة**، والتي تبدو أحياناً منطقية بسبب القصور الكبير في فهمهم لما هو صالح لهم، وكذلك نقص التجربة لديهم، لكنَ هذا السبب ليس مدعاة للمربين كي يتجاهلوا هذه القطعة ولا يضعونها في لوحة الـ Puzzle ، لأن هذا سينتج عنه لوحةً غير مكتملة القطع، فكثرة أخطائهم سيجعل المربي مطالَباً بأن يقدم البديل الصحيح لهم في كل مرة، وهذا بالتحديد الذي جعلهم يُهملون العمل بها!

عندما تمنع .. قدّم بديلاً

- حتى ننهي الأزمة:

فعلياً تعيش هذه القطعة في أزمتين: الأولى في كثرة مشاكل الأبناء واختياراتهم الخاطئة، والأخرى أزمة عزوف المربين عن

تطبيق هذه القطعة، وكي ننتهي منهما، سأقوم بطرح بعض النقاط التي ستساعد في حلهما .. ولنبدأ بالأولى:

- أزمة كثرة مشاكل الأبناء واختياراتهم الخاطئة :

لاحتواء ومعالجة هذه الأزمة الخاصة بالأبناء، عليك أيها المربي بـ :

أ) أن تتذكر دائماً أن مشاكلهم هي جزء من طبيعة الإنسان.

ب) أن تتذكر أن عقولهم مشابهة لعقلك، لكن الاختلاف الجوهري أن عقلك ممتلئ بالمعلومات والتجارب أضعاف ما يملكونه، وهذا ما يجعل كثيراً من اختياراتهم خاطئة.

ج) أن تبين لهم بوضوح، عندما يقع اختيارهم على تصرف أو طلب خاطئ، خطورة هذا الشيء عليهم، سواء كان خطراً على حاضرهم أو مستقبلهم.

د) أن تملأ وقت فراغهم وأن تشغلهم بهواياتهم التي يحبونها.

هـ) أن تزوّد عقله بالمعلومات النافعة والقيم الحميدة حتى يصل لمرحلة متقدمة من الإدراك والوعي فهي تمثّل الغربال الذي يستطيع من خلاله أن يختار ما هو صحيح ونافع له.

و) أن تجعله يمضي في اختياره، وإن كان خاطئاً، ليتحمّل مسؤولية اختياره الخاطئ (استعمل هذه النقطة عندما تكون اختياراتهم الخاطئة لا تؤثر بشكل كبير عليهم) والهدف من هذه النقطة أن يكتشفوا خطأ اختيارهم من قِبل أنفسهم.

١) أزمة عزوف المربين عن هذه القطعة:

هناك بعض الشروط والأفكار التي يجب أن يفهمها المربي ويعمل بها لمعالجة هذه الأزمة وأن لا يكتفي بمعالجة الأزمة الأولى فقط، وهي:

أ) يجب أن تعرف أنها شرط لا بد منه لتربية صحيحة في هذا الزمن.

ب) جهّز قائمة بالبدائل النافعة التي يحبها أبناؤك، وانتظر الوقت المناسب لتقديمها لهم.

ج) اجعل أبناءك يشاركونك ويساعدونك بوضع قائمة البدائل.

د) استشر المختصين وأصحاب التجارب التربوية لبحث موضوع البدائل معهم.

هـ) اعلم أن تفكيرك وتقديمك للبديل الصالح لأبنائك سيساهم مستقبلاً في تشكيل شخصياتهم التشكيل الصحيح والسليم.

و) البديل الناجح الذي تقدمه هو باختصار ملء لأوقات فراغهم، مما يعني تقليلاً لمشاكلهم.

ز) ليس شرطاً أن يكون البديل مكلفاً مادياً أو صعب التنفيذ ويحتاج لجهد منك، بسّط الأمر حتى لا تُتعب نفسك في تقديم البدائل وبالتالي تقع في أزمة العزوف عن هذه القطعة.

- **أهمية القطعة** :

تكمن أهميتها في الأبناء أنفسهم، والبيئة التي يعيشون فيها، فلا يخفى عليك أننا نعيش في زمن يتصف بثلاث صفات هي:

١ سريع

٢ متغير

٣ مبهر

عندما تمنع .. قدّم بديلا

وهذه الصفات الثلاث تجعل من ثقافة منعك على الإختيارات الضارة التي يختارها الأبناء غير كافية، لأنهم سيرون في محيطهم الخارجي سواء كان في المدرسة أو الشارع أو حتى في التلفاز أموراً جديدة ومبهرة، ولسوء الحظ أنّ غالبيتها مضرة لهم، وقاعدة (كل ممنوع مرغوب) تفرض نفسها في كثير من الأحيان، ولأن المنع في هذه الحالة سينتج عنه مشاكل كثيرة ومتكررة، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر:

١ عدم تقبل الأبناء للمنع.

٢ غضبهم. لأنهم قد يرون أن هذه الأشياء التي منعوا منها سواء من أفكار أو أشياء، يتمتع بها أصدقائهم.

٣ فقدان الحب والثقة تدريجياً بين الوالدين وأبنائهما.

٤ قد ينشأ عندهم شعور بالحسد لما هو متوفر لدى الآخرين. وقد يكبر الشعور ليصبح عداءً!

٥ عدم التزامهم بقرارات الوالدين والخروج عليها.

٦ شعورهم بأنهم مظلومون.

وغيرها الكثير من التبعات النفسية والسلوكية نتيجةً للمنع، والتي ستتفاقم مع مرور الزمن مع ازدياد منع الوالدين لقراراتهم واختياراتهم.

هذه القطعة ليست مطلقة وغير مشروطة، بل هناك أمور يجب أن ينتبه لها المربي عند تطبيقها. فالبديل يجب أن يتصف ببعض الصفات ويحكمهما بعض الأمور، وهي لن تزيد عن اثنتين هما:

١) بديلٌ محببٌ:

يجب أن يكون البديل المقدم لهم محبباً ومبهراً بحيث لا يأبهون معه بالأمر الذي كانوا يطالبون به. فإن كان ما يؤمنون به فكرة خاطئة، يجب عليك أن تقدم لهم فكرة أخرى نافعة ومحببة لهم، وإذا كانوا يطلبون أمراً مادياً لكنه ضار لهم، فيجب عليك أيضاً أن تقدم لهم بديلاً مادياً آخر محبباً لا يشعرهم بفقدان الأول. **وعليك أيها المربي أن تضع بعين الاعتبار المرحلة العمرية لابنك الذي ستقدم له البديل بحيث يكون مناسباً لعمره وتفكيره.** فمن غير المعقول أن تقدم للطفل شيئاً محبباً للمراهق ومناسباً له، أو العكس، أن تقدّم للمراهق شيئاً مناسباً للأطفال.

٢) بديلٌ نافعٌ:

لا يكفي أن يكون البديل محبباً وباهراً لأبنائنا فكثيرة هي الأفكار والأشياء التي تتصف بالإبهار لكنها ضارة لهم أو غير مفيدة، لذلك كانت الصفة الثانية بأن يكون نافعاً ويقدّم الإضافة لعقولهم وشخصياتهم، فنحن في زمن نحتاج أن نستثمر فيه كل لحظة.. وكل فكرة.. وكل موقف.. وكل شيءٍ نقدّمه للأبناء حتى نهيئهم لمواجهة تحديات هذا الزمن ومشاكله، دون حاجتهم مستقبلاً للجوء إلينا.

وحتى تتضح صورة هذه القطعة أكثر، سأضع مجموعة من الأمثلة الواقعية لتوضيح كيفية تطبيق (البديل الناجح) مع المتربين:

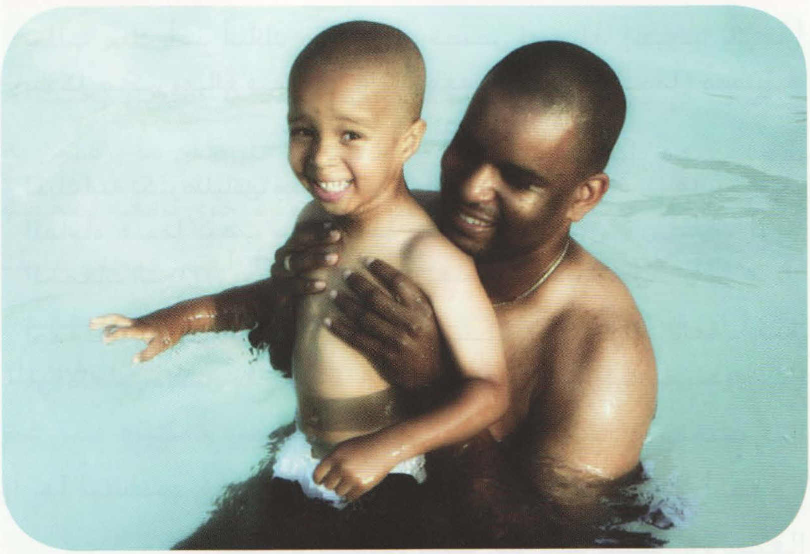
طلب المتربين غير النافع	بديل المربي الناجح
مشاهدة رسوم متحركة تعلم أنها غير تربوية.	توفير رسوم متحركة مفيدة عبر القنوات المخصصة لها أو شراؤها.
الخروج مع أصحاب تعرف أنهم سيؤو الأخلاق.	إشراكه في المراكز والنوادي الهادفة صاحبة التوجة التربوي والأخلاقي.
يطلب منك أحد أبنائك مصروفه بشكل متكرر ومبالغ فيه.	خصص له مبلغاً إسبوعياً بالإتفاق معه، وأبلغه أنه يتحمل مسئولية إنتهائه قبل موعده.
لديك ابنة تكثر طلباتها ومشترياتها المفاجأه عندما تذهب معها لأحد المجمعات التجارية.	اتفق معها أن تحدد ماتريد قبل دخولكما السوق، وإن طلبت المزيد بعدها ذكرها بالاتفاق.
أحد أبنائك يقضي أغلب أوقات يومه في الألعاب الالكترونية.	خصص له وقتا لهذه الألعاب، وقدّم له ألعاباً الكترونية تفيده وتنمّي ذكاءه.

عندما تمنع ..
قدّم بديلا

هذه بعض الأمثلة التي تمر عليك في يومياتك مع أبنائك، قدمتها لك على طريقة هذه القطعة كي تمنع اختيارات أبنائك الضارة ومن ثم تقدّم لهم بديلاً نافعاً ومحبباً، ففي هذه الحالة تخرج فائزاً مستفيداً أنت ومن معك في هذه المواقف لأنك:

١ أبعدت عن أبنائك اختياراتهم الضارة.
٢ قدّمت بديلاً مبهراً لهم ومحبباً إليهم.
٣ ساهمت بتقديم بديل يقدّم لهم الإضافة والإستفادة.
٤ كسبت حب وثقة أبنائك.

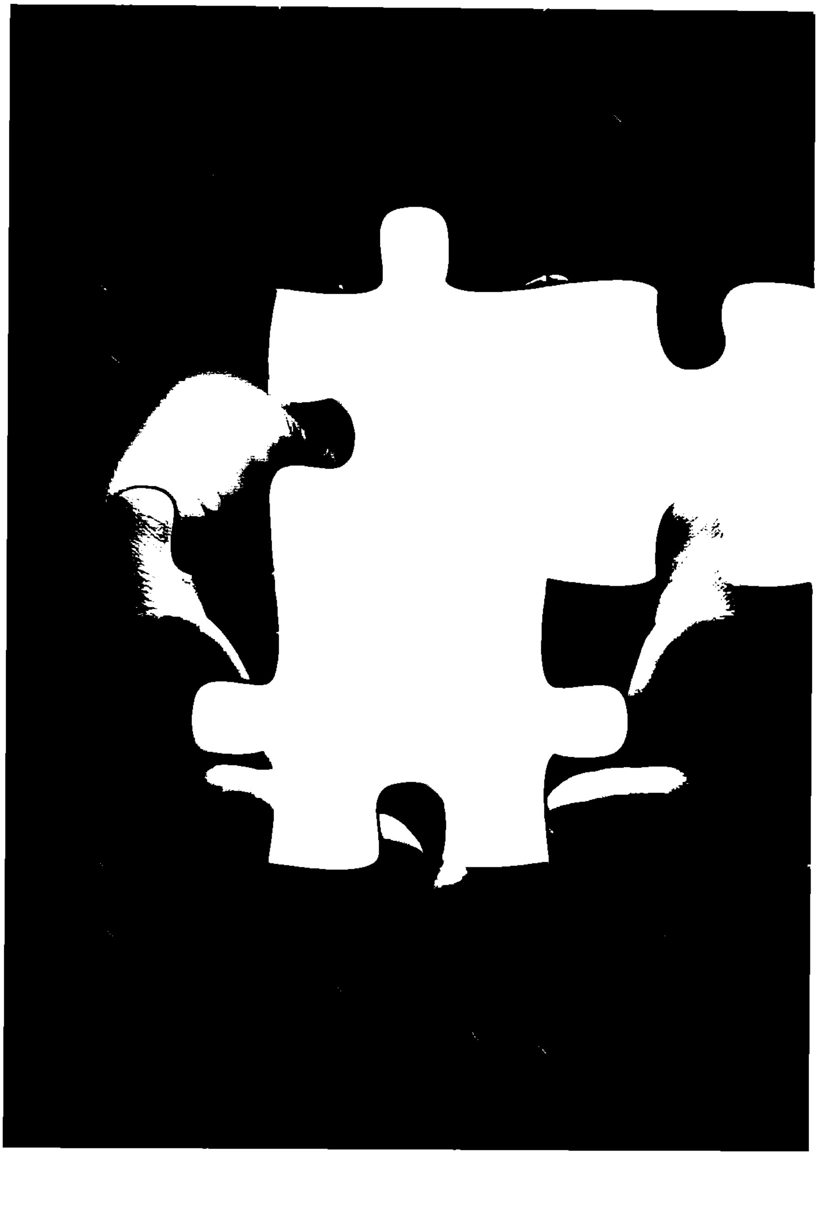
هي فوائد أربعة ـ وربما أكثر ـ حسب المواقف والبدائل، خرجت بها أيها المربي عندما طبقت هذه القطعة الفخمة، فعندما نتأمل قولة الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "**علموا أبناءكم الرماية والسباحة وركوب الخيل**"، نجد ثقافة تقديم البديل للأبناء، لأن الاكتفاء بثقافة منعهم من الأشياء الضارة سينتج عنه فراغ في أوقاتهم وبالتالي ازدياد في عدّاد المشاكل، وهذا ما انتبه إليه سيدنا عمر وعالجه بفكرة شغل أوقات الأبناء بالبدائل المحببة والنافعة لهم.



• فلسفة شغل الوقت:

الفلسفة تعني تفسير الأشياء والوصول إلى حكمتها، والحكمة من شغل أوقات الأبناء كبيرة جداً في حاضرهم ومستقبلهم، فعلى سبيل المثال: عندما تعلّم أحد أبنائك مهارة السباحة فأنت في هذه الحالة كسبت أموراً عديدة تتعدى شَغل وقتهم وتعليمهم هذه المهارة، بل تكون كذلك قد ساهمت بهذا التصرف في تربيتهم **على تحمل المسئولية وكسر حاجز الخوف لديهم ومخالطة الناس واعتمادهم على أنفسهم وغيرها**. فهذه هي بالتحديد الحكمة من ملء وقت الفراغ. فإنها تعلّمهم مهارات الحياة بشكل غير مباشر. وقِس عليها باقي المهارات العملية مثل ركوب الخيل والرماية وكرة القدم وغيرها... **فلكل هواية عملية عدد من المهارات الفكرية والنفسية والسلوكية المكتسبة**.

عندما تمنع ..
قدّم بديلا





عندما تمنع ..
قدّم بديلا

(ومضة)

من يقدّم البديل الناجح والمبهر لمن حوله ولا يكتفي بمنعهم عن الأمور الضارة، هو بلا شك مربٍ ضمن الطبقة الأرستقراطية ومن النخبة.

المؤلف

القطعة العاشرة: المُرونـة

لا تجعل العادات والتقاليد أمراً مقدساً

كثير من المربين يُجبِر من حوله على عادات وتقاليد اجتماعية تكوّنت منذ قديم الزمان، وهي من باب الإنصاف، قد تكون صالحة لشخصية وزمن المربي، لكنها ليست بالضرورة صالحة لشخصية المتربي وزمانه، ونلاحظ في مجتمعاتنا كثرة استخدام المربين للعادات والتقاليد كأداة للتربية والتي يشكّل بعضها قيوداً حديدية لمن حولنا، والرسالة الّتي أريد تركها في هذه القطعة أن لا نجعل من العادات والتقاليد أداةً ثابتة في التربية، ولكن نأخذ ما ينفع ويتلاءم معهم ونترك مالا يلائمهم.

فالمربي الناجح يجب أن يعي أمران مهمان:

أنّ البيئة تتغير، وأن الأفراد يتغيّرون.

وبالتالي يجب أن تتجدّد وسائلنا التربوية وأن تلغى بعض العادات التي تعرقل بناء شخصية جديدة في زمن جديد.

والإنسان العربي ـ في بعض الأقطار ـ نجده بدايةً مسلوب الحق في بيته من قِبل «ثالوث الحصار» كما وصفه الدكتور مصطفى حجازي ”الإستبداد ـ العصبيات ـ الأصوليات“ فيتم إهدار كيانه الشخصي وحقوقه عبر نداءات العصبية الاجتماعية والأصوليات الدينية المتطرفة ومطالبته قهراً بالالتزام بآراء الفئة أو الطائفة أو الجماعة أو الطبقة التي يتبعها دون وضع أي اعتبار لذاته وعقله حتى لو كانت آراؤهم خاطئة .. هنا بالتحديد، تخرج لنا شخصية الإنسان العربي المقهور نفسياً والمهدور حقوقياً !

" يغيّر منزله .. لكي لا يغيّر عاداته ! "

هذا هو رجل الصحراء كما وصفه المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي، عندما تحدث في أحد فصول موسوعته التاريخية الشهيرة (دراسة للتاريخ) عن تمسك رجل الصحراء بعاداته بطريقة شديدة جعلته يغيّر موقعه بشكل دوري لخيامه وأمتعته كلّما نقص الماء والطعام دون أن يفكر بالانتقال للعيش في المدينة.

وأنا هنا بهذا الاقتباس لا أنتقد أبداً هذا التفكير والتصرف، ولكن رسالتي التي أهدف إليها أننا أحياناً بحاجة ـ عندما نربي ـ أن نُبعد العادات والتقاليد الاجتماعية لأنهما سيكونان كالقيد على المتربي الذي جعل من الحرية والاستقلالية أهم حاجة نفسية له، ولنتذكر دائماً أننا في عصر العولمة التي جعلت من العالم عبارة عن قرية عالمية واحدة تهدف بفكرتها إلى سلخ الشباب عن انتماءاتهم وهويتهم وإلى نقل مرجعية الإنسان من السلطات التقليدية (الأسرة والمدرسة) إلى سلطة الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، فالثقافات العالمية والأفكار الخاصة في كل مجتمع ودولة لن يكون لها حاجز بل سيكون التداخل والانصهار مع باقي الثقافات والأفكار هي طريقها، فتخيل معي أيها المربي موقفك المشكوك بصحته بنظر المتربي عندما تتعامل معه بصورة تقليدية وأفكار قديمة .. وهو في مدرسته ومع أصحابه وفي الشارع وأمام شاشة الكمبيوتر يتعامل مع ثقافات وأفكار جديدة وعصرية بغض النظر عن صحتها!

فلذلك، حتى نتجنّب عواقب الانعزال الحضاري عن المتربين وعن العالم ككل، يجب علينا كمربين أن نتعامل مع العادات والتقاليد بطريقة (ديناميكية ـ حركية) نأخذ الصالح منها للزمن الجديد ونترك غير الصالح، فإننا وبهذه الطريقة سنسير بطريقة تُعجب الأبناء وتقرّبنا من العالم، وكل ذلك يجب أن يكون دون المساس بالخطوط الحمراء لمبادئنا الثابتة التي لا تتبدل بمرور الزمن وباختلاف المكان.

وحتى نفرق بين العادات والتقاليد من جهة وبين الخطوط الحمراء التي يجب أن لا يتم مساسها من جهة أخرى، علينا تعريف ومعرفة ماهية العادات والتقاليد؟

كلمة عادة أتت من الفعل (تعوّد يتعوّد تعوداً)، أي السلوك الذي يمارسه الشخص كثيراً إلى أن يصبح جزءً من شخصيته، أما التقاليد، فهي من فعل (قلّد يقلّد تقليداً) أي تحوّل العادة التي تعودها الشخص ما إلى سلوك جماعي يسلكه الناس متأثرين بها، فمسألة صحتها من خطئها ليس أمراً ثابتاً في كل زمان ومكان، بل هو أمر نسبي من الممكن أن يتغير كلياً بتغير الأشخاص أو الأزمنة، وهذا ما أريد الإضاءة عليه، عزيزي المربي، أن ليس كل ما تعوّدت عليه وقلده الناس في زمانك هو أمر ثابت يجب على المتربين تقليده والرضوخ له، فهو ينسجم مع رغباتك وطبيعتك، لكن ليس بالضرورة صالح لهم.

وسأورد لكم الآن موقفين للنبي صلى اللّه عليه وسلم وكيف كان يتعامل مع من هم في غير جيله، ومن هم يختلفون عنه في الطبائع والتفكير والاهتمامات، فكان النبي صلى اللّه عليه وسلم يحرص على معاملتهم بطبيعتهم واهتماماتهم وطريقة تفكيرهم وليس بما يصلح لطبيعة وتفكير النبي صلى اللّه عليه وسلم.

كيف كان يتعامل النبي الكريم صلى اللّه عليه وسلم مع الجيل الجديد؟

موقف النبي صلى اللّه عليه وسلم مع من استأذنه بالزنا :

عن أبي أمامه قال : إن فتىً شابا أتى النبي صلى اللّه عليه وسلم .. فقال : يا رسول اللّه، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه .. وقالوا مه مه! فقال : ادنُه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس. قال أتحبُّه لأمك؟ قال: لا واللّه، جعلني اللّه فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال أفتحبه لابنتك؟ قال: لا واللّه يا رسول اللّه! جعلني اللّه فداك. قال: ولا الناس

يحبونه لبناتهم. قال أتحبُّه لأختك؟ قال: لا واللّه، جعلني اللّه فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أتحبُّه لعمتك؟ قال: لا واللّه،جعلني اللّه فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال أتحبُّه لخالتك؟ قال: لا واللّه، جعلني اللّه فداك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرْجه.

موقف النبي صلى اللّه عليه وسلم مع أبي محذورة :

يحكى أن أبا محذورة الجمحي لما سمع الأذان وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا يستهزؤون ويحكون صوت المؤذن غيظاً، فكان هو (أبا محذورة) من أحسنهم صوتا، فرفع صوته مستهزئاً بالأذان فسمعه النبي صلى اللّه عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح النبي صلى اللّه عليه وسلم ناصيته وصدره بيده فقال: امتلأ قلبي واللّه إيماناً ويقيناً وعلمت أنه رسول اللّه، فألقى عليه النبي صلى اللّه عليه وسلم الأذان وعلمه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة، وهو ابن ست عشرة سنة، فكان مؤذنهم حتى مات.

وقال ابن محيريز: «رأيت أبا محذورة صاحب رسول اللّه صَلَّى اللّه عليه وسلم وله شعر، قلت: يا عم، ألا تأخذ من شعرك؟ فقال: ما كنت لآخذ شعرًا مسح عليه رسول اللّه صَلَّى اللّه عليه وسلم ودعا فيه بالبركة»

لو تأملنا قليلاً في فعل النبي صلى اللّه عليه وسلم وهو القدوة والنموذج الأعلى لنا في تعامله وتربيته لوجدنا أننا نتعامل مع أخطاء وتصرفات الأبناء على نقيض ما كان يفعله نبينا الكريم! ففي الموقف الأول ورغم عظم مصيبة الطلب، فالسائل هنا لم يطلب فعل أمر مخالف لعادة أو تقليد، بل أمرٌ مخالف لشرع اللّه تبارك وتعالى، ومع ذلك قابله النبي صلى اللّه عليه وسلم بهدوء وتأن، فطلب قبل كل شيء أن يقترب منه، فلما اقترب أجلسه بجانبه وأشعره بالحب والدفء، ثم قام بطرح أسئلته عليه وتحاور معه بهدوء قائلاً له: أتحبه لأمك؟ أتحبه لابنتك؟ أتحبه لأختك؟ والشاب يردد: لا واللّه، جعلني اللّه فداك .. وفي النهاية وضع يده الشريفة على الشاب ودعا له.

وفي الموقف الثاني، نجد أيضاً ثبات النبي صلى اللّه عليه وسلم في تصرفه مع سلوكيات الصبيان عندما تعامل مع صبي استهزأ بصوت الأذان مع مجموعة أخرى. وكان التصرف اللائق والمثالي عندما أمر من حوله بالذهاب حتى لا يحرجه ويجرح مشاعره وانفرد (بأبي محذورة) حتى ظن أنه قاتله. فقام النبي صلى اللّه عليه وسلم بالمسح على رأسه وصدره ودعا له وعلّمه بعد ذلك الأذان لحسن صوته.

والجميل أنّ نتيجة تصرف النبي صلى اللّه عليه وسلم المثالي معهما هو أنّ الأول قد كره الزنا ولم يلتفت للتفكير به إلى مماته، والآخر فجّر النبي صلى اللّه عليه وسلم موهبته وصار مؤذن مكة المكرمة إلى مماته رغم أن في بدايته كان يستهزأ بالأذان. فالتعامل المثالي والصحيح مع الأبناء لن ينتج عنه فقط تعديل التفكير والسلوك الخاطئ، بل سيتطور الأمر إلى تفجير واستخراج طاقاتهم الداخلية ومواهبهم... ولنا في موقف مؤذن مكة المكرمة (أبي محذورة) عبرة ودليل. وهذا كله لن يأتي إلا إذا فهمت أيها المربي أنك تربّيت في جيل يختلف عن جيلهم الحالي فلست مطالباً أن تلزمهم بأفكار وعادات جيلك وليس هم مطالبون ببرّك وتطبيق هذه الأفكار والعادات. وعلى هذا السياق يقول الامام علي كرّم اللّه وجهه قوله معبّرة: "علموا أولادكم خير ما عُلِمتم، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم".

ما هي العادات والتقاليد التي يجب تركها عندما نربي أبنائنا؟

١) التي لا تخالف عند تركها أمرا نص عليه القرآن والسنة.
٢) التي لا تخالف عند تركها أدبا ونظاما عاما.
٣) التي تقيّد حرية المتربّين وانطلاقتهم.
٤) التي تناسب حقبة زمنية سابقة، ولا تناسب حاضرا يعيش فيه المتربين.

هذه الشروط الأربعة إن توافرت في عادة وتقليد يجب عليك حينها أيها المربي أن لا تعترف بها كأداة تربي عليها من حولك خصوصا إذا قاموا برفضها فليس من حقك أن تلزمهم على التقيد بها.





(ومضة)

التربية عبارة عن مشاعر وأفكار تجديدية، إن ركدت فسدت ولم تعد مقبولة.

القطعة الحادية عشر: بذرة وتربة

نحن حالياً على مقربة من استكمال تركيب لوحة الـ Puzzel الخاصة بهذا الكتاب، وفي أيدينا الآن قطعة في غاية الصعوبة والخطورة، وذلك بسبب تداخل أطراف كثيرة فيها، فهي ليست خاصة بالتحكم لدى الأب والأم فقط، بل هنالك أطراف تخفى على كثير من المربين لا يلقون لهم بالاً ولاتركيزاً، مما ينتج عنه لخبطة وفوضى في باقي قطع الـ Puzzle حتى لو كانت جميعها في مكانها الصحيح!

لكن أريد منك الانتظار قليلاً قبل أن ندخل معاً في هذه الأطراف التي تساهم بشكل كبير إما في تربية صحيحة أو تربية خاطئة، في هذه القطعة سأكتب عن (صناعة البيئة التربوية المناسبة) فلا أهمية لجميع قطع الـ Puzzle المكتوبة في هذا الكتاب عندما تُهمِل أيها المربي تطبيق هذه القطعة التي أسميتها قطعة (بذرة وتربة)، فالتشبيه هنا أن التربة هي بمثابة البيئة التربوية الصحية التي تدار داخلها عملية تربية الأبناء، والبذرة هم الأبناء بذواتهم وشخصياتهم، فمن المحال أن تنبت هذه البذرة ويقوى عودها وتكون صالحة للحياة إن كانت التربة التي وضعت فيها فاسدة، حتى لو أتقنت عملك في زرعها ورعايتها، لأن الأصل فاسد، وما بُني على خطأ فهو خطأ!

كذلك هي البيئة التربوية في جهة والأبناء في جهة أخرى، بينهما ترابط وتأثير عميقان جداً، فبصلاح البيئة المحيطة ينصلح حال الأبناء، وفي المقابل فساد البيئة المحيطة يفسد بها حال الأبناء، فالبيئة التربوية تعني: الجو المحيط بالأبناء من كل الجوانب، والذي ينمون وينضجون من خلاله .. فكل شخص أو جهة لها احتكاك مع المتربي تدخل ضمن البيئة التربوية لهذا الفرد، ولأهمية هذه القطعة، سأوضح لك عزيزي المربي من هم الأطراف الأساسيون في تشكّل البيئة التربوية المحيطة بأبنائنا بقادم الأسطر.

١) الوالـدان:

أول عامل من حيث الأهمية والتأثير لصناعة بيئة تربوية مناسبة للمتربين هو (الوالدان)، لأنهما صاحبا الاحتكاك المباشر واليومي مع أبنائهما، فالعاطفة والترابط بينهم موجودة بالفطرة، والمهم أيضاً أن يكون تشكُّل ذواتُ الأبناء من الناحية البيولوجية والنفسية دائماً في المراحل الأولى من حياتهم، والتي يكونون فيها على تواصل حصري مع والديهم دون العوامل الباقية التي تؤثر كذلك في صناعة البية التربوية، ولكن ليس في هذه المرحلة من حياتهم، وأقصد فيها عمر الأشهر الأولى إلى سن السنتين.

وحتى تصل إلى الجو المثالي في تطبيق هذا العامل مع الأبناء، يجب:

أ) أن تكون قدوة صالحة في أقوالك وأفعالك أمامهم.

ب) أن يكون جزء كبير من وقتك مخصصاً لهم، تعايشهم فيه، تسمع لهم تارة وتكلمهم تارة أخرى.

ج) أن تراقب تصرفاتهم وتطور سلوكياتهم بشكل غير مباشر دون شعورهم بأنهم تحت المراقبة.

د) أن توفر لهم جواً من الإيجابية والتفاؤل والأمان وتغدق عليهم بكلمات التحفيز والتشجيع.

هـ) توحيد نظام الثواب والعقاب بين الوالدين، بحيث لا يشعر الأبناء بأن أحد الوالدين يخالف الآخر في هذا النظام وهذا يتطلب الجلوس بين الأب والأم لمناقشة هذا النظام والعمل على تطبيقه معاً.

و) مشاركة الأب والأم في عملية التربية داخل البيت فلقد أثبتت دراسة علمية أن الأبناء الذين اشترك في تربيتهم كلّ من الأب والأم تكون نسبة ذكائهم ووعيهم أكبر من الآخرين الذين تربوا على يد أب فقط أو أم فقط!

تطبيق البنود السابقة سينتج عنه أثر إيجابي في شخصية المتربي. فالوالدية هي الحضن التربوي الأول الذي يتعلم فيه القيم والمهارات والآداب. خصوصاً في السنوات الأولى التي تتشكل فيها عقلية المتربي وطريقة تعامله مع من حوله.

ورحم اللهّ أبا العلاء المعري. إذ قال في أبياته الشهيرة:

مشى الطاووس يوما باعوجاج فقلد شكل مشيته بنوهُ
فقال: علام تختالون؟ قالوا بدأت به ونحن مقلدوه
فخالف سيرك المعوج واعدل فإنك إن عدلت معدلوه
أما تدري أبانا كل فرعٍ يجاري بالخُطى من أدَبوه!
وينشأ ناشئ الفتيان منّا على ما كان عوَده أبوه
وما دان الفتى بِحِجى ولكن يعلمه التدينَ أقربوه

٢) المدرسة:

في أكثر من مناسبة. يتم سؤالي هذا السؤال: من له الدور الأكبر في التربية: البيت أم المدرسة؟ فيُطلب مني الاختيار بينهما بشكل عام. ودائماً كنت أجيب بأن الإجابة بحاجة إلى تفصيل. فليس من الصحة أن أقول (البيت له التأثير الأكبر أو العكس!) فالموضوع أكبر من ذلك وسأورده في قادم الأسطر.

المدرسة لها دور عميق جداً في التأثير على المتربين. وهذا التأثير يتصاعد أكثر كلما كبر الأبناء. فمثلاً. في المراحل الأولى من حياتهم يكون تأثير البيت هو الأكبر من المدرسة وبفارق كبير خصوصاً في سنوات (السنة الأولى إلى ٦ سنوات) لكن يبدأ بعدها تأثير المدرسة بالتصاعد الكبير بسبب رغبة المتربين

التصاعدية في الاستقلال الفكري عن الأسرة. فيبدأ بالرغبة في تلقي المعلومات والاهتمامات من خارج البيت (أي من أشخاص آخرين خلا الأب والأم) ربما كان من صديق أو معلم في المدرسة. فمن هنا تحديداً يبرز دور المدرسة في بلورة صلاح شخصيات المتربين. فالمدرسة ذات البيئة الصحية ستلقي بثمارها عليهم بشكل إيجابي. والعكس كذلك.. المدرسة ذات البيئة الملوثة ستلقي بثمارها سلبياً على المتربين!

فمن الخطأ الجسيم من قبل بعض المربين أن يعتبر المدرسة مركزاً أكاديمياً يتحصل منه المربون على القوة والمهارة الأكاديمية فقط. بل هي مركز تربوي قبل أن يكون مركزاً أكاديمياً. فلِكَي تصل أيها المربي إلى البيئة التربوية المناسبة في المدرسة، عليك أن تحرص وباهتمام شديد وبعناية فائقة على اختيار المدرسة التي سينتمي إليها المتربي. وهي ذات صفات ثلاث:

- ذات مرافق تعليمية وترفيهية جاذبة.
- قوة الكادر التعليمي من معلمين وإداريين.
- لها برنامج وتوجه خاص في الشأن التربوي والسلوكي الحميد.

ولن تستطيع إيجاد هذه الصفات الثلاث إلا بعد ذهابك للمدراس بنفسك واطلاعك عليها وعلى مرافقها الداخلية. وأيضا جلوسك مع مديرها وبعض معلميها للحديث والنقاش معهم في أهداف المدرسة وطرق التعليم فيها وعن مستوى الطلبة فيها. ومن باب التأكيد، تستطيع سؤال من حولك (أقربائك ـ أصدقائك) عن المدراس الجيدة ذات البيئة التربوية المناسبة. فما خاب من استشار.

فإجابتي عن السؤال: أن البيت والمدرسة لهما علاقة تكاملية في التأثير على المتربين. ففي المراحل الأولى لعمر الإنسان يكون

تأثير البيت أكبر ومع تقدم سنه يكبر معه تأثير المدرسة إلى أن يصل في فترة المراهقة إلى أن يكون تأثير المدرسة أكبر بشكل ملحوظ، لذلك وجب عليك الحرص على نوعية المدرسة حتى لا تكون أداة هدم لما تم بِناؤه في البيت!

٣) الأصدقاء:

يقول عالم الاجتماع والتاريخ ابن خلدون ـ رحمه اللّه ـ في مقدمته الشهيرة: "الإنسان إجتماعي بطبعه"، فلا يوجد شيء قد يُغني هذه الطبيعة الاجتماعية إلا الجماعة والاجتماع.. والأصدقاء إحدى مظاهرها!

فعندما يأتي مربي ويحرم من حوله من الإجتماع مع الأصدقاء من باب خوفه وحرصه عليه، فإنه بهذا التصرف يحرمه من حاجة فطرية اجتماعية فيه، قد يسبب هذا الحرمان من الخروج والتنزه مشاكل نفسية وسلوكية خطيرة، لذلك ولأهمية الصحبة في تنشئة الفرد تنشئة صالحة أو فاسدة، كان لا بد من المربي أن ينتبه لهذه البيئة الصداقية كما ينتبه لبيئة البيت والمدرسة، ويكون هذا الحرص بجعل المتربي يتشارك مع أصدقائه بالخروج للتنزه والاجتماعٍ والحوار معهم، مع الحرص على أن يكون هذا السماح مرتبطاً بشروط يهيؤها المربي للمتربي من دون شعوره، وهذه الشروط هي:

أ) الاتفاق مع المتربي على ساعات خروج محددة، بحيث لا تكون مفتوحة وغير مقيدة بيوم أو عدد من ساعات.

ب) إفساح المجال لخروجه مع أصدقائه لا يعني أن يخرج مع من يشاء، فلابد أن يحدد المربي صفات بعينها، ويُتفق مع المتربي على أن تكون موجودة في شخصية الصديق، ويبين له أهمية هذه الصفات، وأنها ستكون سبباً في نجاحه وسعادته!

ج) في حالة التأكد من أن المتربي يصاحب مجموعة أصدقاء فاسدين أخلاقياً؛ يتدخل المربي بشكل مباشر ويمنعه من مصاحبتهم مع تبيان السبب للمتربي وخطورتهم عليه كي يقتنع بهذا المنع.

هذه الشروط يجب أن يعلم بها المتربي ويقتنع بفائدتها عليه وفائدة الاقتناع في هذه الجزئية أنه سيكون محاسِباً لنفسه قبل محاسبة المربي له في حالة مخالفته لها، وقد يسأل البعض ما هي الصفات التي يجب توافرها في الصديق الصالح النافع؟

للإجابة على هذا السؤال المهم أضع لك خمسة شروط ذكرها الدكتور عمر عبدالكافي وهي: "إذا رآك غافلاً ذكَرك، وإذا رآك ذاكراً أعانك، وإذا رأيته؛ ذكَّرتك باللهّ رؤيته، أن يدلك على اللهّ حاله، وأن يزيدك في العلم منطقه".

٤) الإعلام:

العامل الأخير الذي يجب أن ينتبه له المربون عند تكوين البيئة المحفزة لتربية صالحة هو "الإعلام" وهذه الكلمة تشمل العديد من الأشياء منها: (التلفاز ـ الراديو ـ التويتر ـ اليوتيوب ـ الفيسبوك.... وغيرها)، وتكمن خطورة عامل الإعلام وتأثيره الهدام أو البناء في شخصية المتربي في أنه وسيلة غير مباشرة تؤثر بشكل عميق جداً في عقول أبنائنا عبر رسائل غير مباشرة تبثها البرامج والمقاطع في العقول، مما ينتج عنه تأثرهم الشديد بهذه القيمة المرسلة، سواء كانت قيمة إيجابية أو سلبية!

فالإعلام في الزمن الحديث هو إعلام مستقل، أي أنه موجه نحو أهداف خفية بالنسبة للجمهور تهدف إما إلى تكوينه التكوين الصحيح أو السير به إلى الهاوية، لذلك كان من المهم أن تتم مراقبة هذه الوسائل الإعلامية من قبل المربين بحيث لا يكون

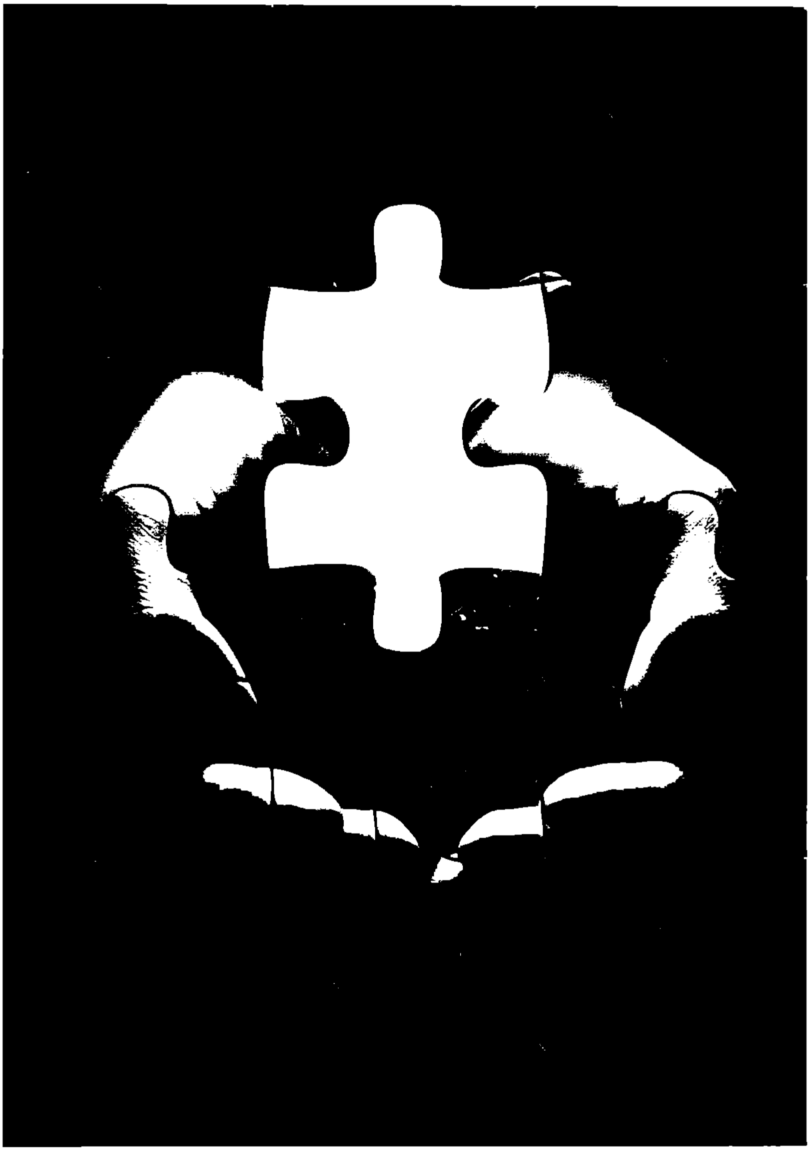
القرار هو حرمان الأبناء منها لأن فيها ما هو نافع، ولا أن يكون القرار موافقة بالمطلق غير المقيد، فلا إفراط ولا تفريط، والأسلم أن يتم السماح لهم بالانتفاع من هذه الوسائل والبرامج مع وجود شيئين هما:

الأول:

شروط تهدّف المشاركة أو مشاهدة هذه الوسائل أو البرامج وتجعلها مفيدة.

الثاني:

وجود المراقبة المستمرة غير المباشرة مع قِبل المربين على المتربين لأن افتراض حسن النية في هذه المواقف غير صحيح.





(ومضة)

كي تصنع بيئة تربوية محفزة.. مشجعة.. صالحة لأبنائك: عليك أن تصلح ما يكون داخل البيت، وتختار المدرسة المناسبة، وأن تحرص على أن يرافق ابنك أصدقاء صالحين، وأخيراً مشاهدة الإعلام النافع.

سأل أعرابيٌّ معاويةَ بن أبي سفيان رضي اللّه عنه: كيف حكمت الناس أربعين سنة ولم تحدث أي فتنة في الشام والدنيا حواليك تَغلي؟! فقال رضي اللّه عنه: ''إن بيني وبين الناس شعرة إذا أرخو شددت، وإذا شدوا أرخيت''.

اشتهر سيدنا معاوية رضي اللّه عنه بهذا الموقف وأصبحت كلمة (شعرة) ملازمة لاسمه، فقد وضع قاعدة أساسية لنجاح أي شخصية في الحياة: بأن يكون الإنسان متزناً في كل شيء، فلا هو يشد الحبل لينقطع، أو يرخيه فيخسر طرفه، كذلك هو الإنسان يحتاج للاتزان في نفسيته فلا يكون بليد المشاعر ولا حارا الطباع، وفي فكره: فلا يكون متشدداً في آرائه أو متقلباً بها، وكذلك في سلوكياته، فحديث النبي صلى اللّه عليه وسلم واضح في هذا الشأن:

''لا يشاد أحد الدين إلا غلبه''

تَوازَن..
لا إفراط ولا تفريط..
شعرة معاوية..

كلها مسميات تختلف في أحرفها لكنها تحمل مضموناً واحداً مفاده (امسك العصا من المنتصف)، **ولو قدّر لي أن أضع ثلاث قطع تمثل الأهم من بين الإثنا عشر قطعة في هذا الكتاب، فلا شك عندي أن هذه القطعة ستكون من بين الثلاثة الأهم، لأهميتها الكبرى في هذا الزمن**، ووضعي لها كآخر قطعة ليس دليلاً على عدم أهميتها، بل حرصاً مني على جعلها مسك الختام الذي أختم به هذه الـ Puzzle والتي تجيب على السؤال الذي وضعته في مقدمة الكتاب ... وهو:

• أمةً وسطاً:

يقول اللّه تبارك وتعالى :«وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»*

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي في كتابه: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) :

"فجعل اللّه هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق. ووسطا في الشريعة لا تشديدات كاليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى، وفي باب الطهارة والطعام لا كاليهود لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليها الطيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج، بل طهارتهم (المسلمين) أكمل طهارة وأتمها، وأباح اللّه لهم الطيبات من الطعام والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك."

هذه هي الوسطية والاتزان في الدين، فليس للغلو الذي هو من عقيدة اليهود ولا التقصير الذي هو من عقيدة النصارى في شريعتنا طريق، والتربية جزء لا يتجزأ من الدين وما يصح فيه يصح في التربية، لأنها الطريق الأمثل التي تقود الإنسان وهو مقتنع ومحب إلى الدين والهداية والفضيلة، ويقول الإمام علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه في هذا الشأن:

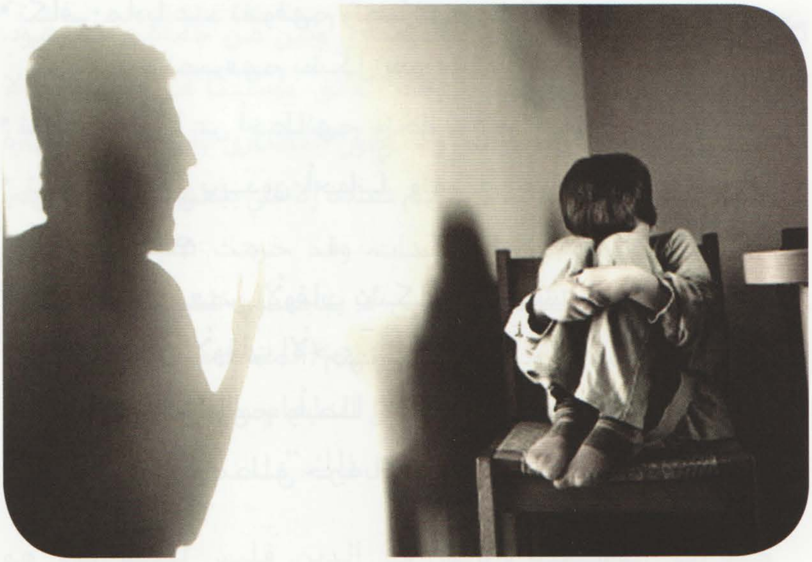
"عليكم بالنمط الأوسط . فإليه ينزل العالي ويرتفع النازل"

* سورة البقرة ـ آية ١٤٣

فمن أهداف التربية أن نأخذ بيد الإنسان ونوصله إلى جبال الفضيلة والأخلاق، كما وضّح حجة الإسلام أبوحامد الغزالي رحمه اللّه في مقولته: "إنّ الغرض من التربية هي الفضيلة والتقرب إلى اللّه عز وجل". ومن القواعد التي تساعدنا على الوصول لهذا الغرض قاعدة (التوازن)، وحتى أوضح أيها المربي كيفية تطبيقها في تربيتنا لمن حولنا، سأضع لك مجموعة أمثلة لها في حياتنا اليومية:

- تمدحهم عند نجاحهم وانجازهم، وتوجه وتنصح عند تقصيرهم وخطئهم.
- تكافئ مادياً عند تفوقهم وتصرُفهم بشكل جيد، وتحرمهم من أشياء عند تصرفهم بشكل سيء.
- تتغافل أحيانا عن أخطائهم، وتحاسبهم أحيانا أخرى.
- تعطيهم ما يريدون أحياناً، وتمنع أحياناً أخرى، مع ذكر السبب لهم.
- تراقبهم في بعض الأوقات بشكل غير مباشر، وتمنحهم الحرية والانفراد في الأوقات الأخرى.
- الإبتعاد عن تدليلهم، وأيضا الابتعاد عن قهرهم.
- عدم اعطائهم مطلق حرية الاختيار، وأيضا عدم منعهم نهائياً من الاختيار.
- عدم الإكثار من القوانين المنزلية، وأيضاً عدم الاستغناء النهائي عن تلك القوانين داخل المنزل.
- الابتعاد عن تحميلهم مسؤوليات كبيرة لتنفيذها، وكذلك عدم إبعادهم تماماً عن حمل المسؤوليات المتوسطة والصغيرة.

هذه أمثلة توضح معنى قطعة (التوازن) وكيفية تفعيلها على أرض الواقع مع الأبناء بمختلف أعمارهم، والمتحكم فيها أولاً وأخيراً هو المربي، بحيث يستطيع بداية وقبل كل شيء أن يعرف كيف يسيطر على نفسه!

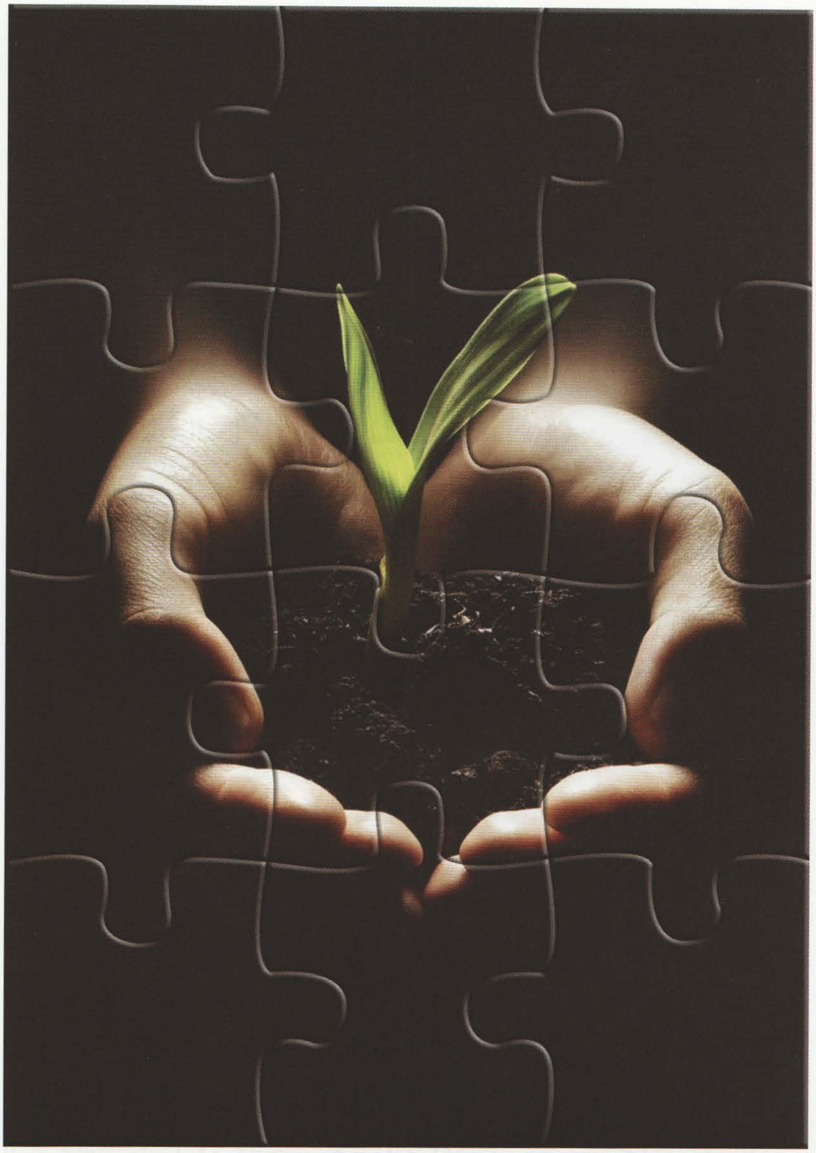


• العنف اللفظي الموجه للأبناء ينهش بشكل عميق في شخصياتهم

وقد جعلت موضوع السيطرة على النفس في البداية لأنه لا يمر علي أسبوع إلّا وأشاهد كثيراً من الآباء والأمهات يمسكون العصا، إما من أحد طرفيها، وأعني بذلك (الدلال الزائد لأبنائهم ـ الحرية المطلقة لهم ـ التغافل الدائم عن أخطائهم ـ وغيرها من الأمثلة) أو من الآخر، والذي يمثل (حرمان الأبناء بشكل كبير ومتكرر من مُتع الدنيا ـ تقييدهم والتحكم المستمر بهم ـ مراقبتهم الدائمة بشكل مباشر ـ محاسبة الأبناء على كل خطأ يقعون فيه) فطرفا العصا وبهذه الأمثلة يعنيان بالنسبة لي مشكلة كبيرة وأزمة حقيقية يعاني منها المربي تتمثل بعدم استطاعته السيطرة على نفسه.

لذلك، كان الحل الأسلم للفقرة السابقة بأمثلتها السلبية هو تطبيق **فعال** لقطعة (التوازن)، وأريد بعد التوضيح السابق أن أتطرق لموضوع **العنف اللفظي أو الغضب الظاهري** للمربين على أبنائهم، فهو من أكبر صور عدم توازن المربي في تربيته، وللأسف الشديد، ألاحظ كثيراً أن العديد من الآباء والأمهات يتعاملون مع أخطاء الأبناء بطريقة الصراخ المبالغ به وبعبارات مدمرة، مثل (يا فاشل ـ أنت غبي ـ لن تنجح ـ أخوك/أختك أفضل منك) وقد يؤدي هذا الأمر إلى وصولهم لمرحلة الضرب غير المبرر وهذا تصرف بالغ الخطورة.

لقد **أثبتت الدراسات التربوية الحديثة** أن العنف اللفظي الموجه للأبناء ينهش بشكل عميق في شخصياتهم ونفسياتهم وله الدور الأكبر في ضعف ذوات الأبناء المستقبلية، خصوصاً عند تعاملهم مع البيئة المحيطة بهم، علاوة على تأثيرها السلبي على ذكاء الشخص وتحليله للأمور وفقدانه للثقة بنفسه، فنجد أن النبي صلى اللّه عليه وسلم أوصى أحد الصحابة بقوله: "لا تغضب" وكررها ثلاثاً لأنه يعلم صلوات اللّه وسلامه عليه خطورة الغضب ونتائجه المدمرة على علاقاتنا وخصوصاً علاقة الآباء بالأبناء.





(ومضة)

تربية الدلال والرفاهية تصنع إنساناً غير مسؤول، وتربية القهر والمنع تصنع إنساناً متسلطاً جائراً !

المؤلف

مقارنة بين المربي التقليدي والمربي العصري

المربي التقليدي	المربي العصري
بسيط ثقافيا وتربوياً.	مثقف ومتخصص تربوياً.
لا يملك هدفاً أثناء قيامه بالعملية التربوية.	يملك هدفاً واضحاً أثناء قيامه بالعملية التربوية.
ينتظر مشاكل أبنائه ليعالجها.	يعمل بمبدأ الوقاية خير من العلاج.
يعالج نتيجة المشكلة.	يعالج أسباب المشكلة.
لا يصبر على مشاكل أبنائه، ولا يعطي فرصة ليرى نتائج علاجاته.	يصبر على مشاكل أبنائه، ويعطي فرصة ليرى نتائج علاجاته.
لا يحترم عقول وهوايات أبنائه.	يحترم عقول وهوايات أبنائه ويشاركهم فيها.
يتعامل مع كل المراحل (الطفولة ـ الصبا ـ الرشد) على طريقة واحدة.	يتعامل مع كل مرحلة بطريقتها وعلى حسب خصائصها وحاجاتها.
يمنع اختيارات أبنائه الخاطئة.	يمنع اختيارات أبنائه الخاطئة مع تقديم بديل نافع ومحبب لهم.
يعسّر الأمور على أبنائه وينفرهم	ييسر الأمور على أبنائه ويبشرهم
جامد وثابت ولا يقبل التغيير «يجعل العادات والتقاليد أمرا مقدسا عند تربيته لأبنائه»	يمتلك مرونة للتغيير «لا يجعل العادات والتقاليد أمرا مقدسا عند تربية أبنائه»
المربي التقليدي: يهمل تأثير والمدرسة والأصدقاء والإعلام على أبنائ	المربي العصري: يقظ وينتبه لتأثير الأسرة والمدرسة والأصدقاء والإعلام على أبنائه.
لا يملك توازناً في تربيته	متوازن في تربيته

الجـــدول الســـابق يوضّح الفـــرق بيـــن المربي التقليـــدي الذي نجده منتشـــراً بشـــكل خطير في المجتمع والبيوت.. وبين المربي العصري الذي نحتاجه في هذا الزمن الحديث ليربي أبنائه بطريقة حديثةملتزماً بالقواعد الإثنا عشر التي وضعتها بين يديك في هذا الكتاب. فلقد شـبّه أبـو حامد الغزالي ـ رحمـه اللّه ـ المربي بأنه: ''نائباً للرســول صلى اللّه عليه وسلم في هداية الأمة. لكن بشرط أن تتوافر فيه محاســن الأخلاق: **كالصبر والشــكر والتوكل واليقين والســخاوة والقناعــة وطمأنينة النفــس والحلم والتواضــع والعلم والصدق والحياء والوفاء والوقار والسكون والتأني''** *

فليس المتربي وحده من يحتاج لها. بل يجب على كل من تقلّد مهنة التربية أن يغرس في نفسه الفضائل والأخلاق ليكون نموذجاً صالحاً لمن حوله. لأنه حينها سيكون كما قال الغزالي: ''نور من أنوار النبي صلى اللّه عليه وسلم يصلح الاقتداء به''. فلقد وصف القرآن نبينا بالأسوة الحسنة ''لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة'' لأنه كان رمزاً في الفضائل والأخلاق. فأي إنسان يلتزم بما التزم به الرسول الكريم صلى اللّه عليه وسلم سيدخل ضمن دائرة الأسوة الحسنة.

لذلك. نحتاج كمربين في هذا الزمن أن نعترف ونُقر بأننا مقصرون كثيراً في التعامل الصحيح مع أبنائنا. ويجب علينا وبشكل جاد أن نتوقف عن لوم الأبناء بأنهم هم أساس المشاكل. بل نلوم أنفسنا لأننا لم نُحسن فهم هذا الزمن الحديث. ولم نفهم بشكل صحيح شخصيات أبنائنا. ولم نعِ بشكل كامل الفروق الكبيرة بين زماننا وزمانهم. هذه أمور كافية تجعلنا نحاسب أنفسنا بجدية ونلومها على ما ارتكبه البعض منا من مجازر نفسية بحق أبنائه. جعلتهم ينحرفون عن جادة الصلاح والنجاح.

* الغزالي ـ كتاب: أيها الولد

ومع كل ذلك.. أحمل لك بشرى سارة أيها المربي؛ أن ما فات سينصلح، والقطار لم يفت موعده إلى الآن، وكل تقصير سيمحوه عملٌ إذا ما اقترن به **الإتقان والصّحة**. فقط اعقد العزم الآن وطبق ما كُتِب هنا وتوكل على اللّه، وسترى ما يُسعدك بإذن اللّه.

الخـــــتام

لقد حرصت في هذا الكتاب أن أقدّم للمربين ـ سواء كانوا آباء أو معلمين ـ 12 قاعدة تمثّل التربية الصحيحة في عصر العولمة الذي يتصف كما ذكرت بالسرعة والتغير والإبهار والذي يجب أن يقابله أثناء تربيتنا لمن حولنا بتطبيق هذه القواعد. كي نساير بها العالم والمتربين بطريقة صحيحة وعصرية.

وأرجو أن أكون قد وفقت في الإجابة على السؤال المطروح في بداية الكتاب من خلال قطع الـ Puzzle الإثنى عشر التي جعلتها تخرج بصورة بسيطة وعملية حتى تكون سهلة التطبيق. لأن من أصعب التحديات التي تواجه التربية، هي تصغير الفجوة بين النظرية والتطبيق. لذلك كان هذا الكتاب بمضمونه وفكرته وأسلوبه. الذي أسأل اللّه تعالى أن يحقق المراد منه بأن يكون سهلاً في تنفيذه وتطبيقه مع أبنائنا وطلبتنا وكل إنسان يدخل ضمن دائرة التربية.

ختاماً. أسأل اللّه تبارك وتعالى أن يتقبل هذا العمل. وأن ينفع كاتبه وكل من قرأه. حتى نصل معاً ـ بعد توفيق اللّه ـ إلى تكوين وإعداد جيل رباني قائد وخلوق ينتفع به الدين والمجتمع. هو ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

المراجع

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – الشيخ عبدالرحمن السعدي.

دعه فإنه مراهق – عبدالله الطارقي، دار كنوز المعرفة.

العرب والتربية والحضارة – د. محمد جواد رضا، مركز دراسات الوحدة العربية.

الإصلاح التربوي العربي – د. محمد جواد رضا، مركز دراسات الوحدة العربية.

طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد – عبدالرحمن الكواكبي، صفحات للنشر.

قوانين النهضة – د. جاسم سلطان، مؤسسة أم القرى.

مقدمة ابن خلدون.

نحو فلسفة تربوية عربية– د. عبدالله عبد الدايم.

القيم التأسيسية للشخصية القرآنية د. إبراهيم الديب.

سؤال الأخلاق –طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي.

أيها الولد – أبوحامد الغزالي

مروج الذهب ومعادن الجوهر أبو الحسن علي المسعودي

العقل الأخلاقي العربي – د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية.

أسد الغابة في معرفة الصحابة – ابن الأثير.

شكر

كل الشكر لصاحب صورة الغلاف: الطفل عبد العزيز محمد بوحيمد .

"لذا، كان هذا الجهد من الكاتب المبدع المجتهد الاستاذ عبدالمحسن العصفور بالنسبة لي بارقة من بوارق الأمل التي أراها تزداد في هذه المنعطف التنموي لوطننا ولأمتنا. ففيه طرح تربوي عملي من مدرس مبدع أتقن وسائل الشرح والإفهام وفيه فكر تجديدي ييسر مهام اصطناع الجيل تشحن قارئه بالإلهام. وفيه آمال عظام ينقشع معها ، بإذن الله تعالى، ما نعانيه من الجدب والآلام."

د. إبراهيم الخليفي

"أثبت المبدع عبدالمحسن العصفور أن العلم لا يقف عند حد الإضافة إليه بل إن التجديد في طريقة الطرح هي علم أخر."

د. طارق الحبيب

عَنِ المُؤَلِّف

- كويتي
- بكالوريوس قانون
- مدير الشؤون التربوية والتدريب، ورئيس قسم للمرحلة المتوسطة والثانوية في مدرسة عالمية ثنائية اللغة في دولة الكويت
- خبرة عمل ٨ سنوات في المجال التربوي والتعليمي

@Amohsen_Ls4

Designed by : Wa'el A. Ashmar
waelashmar.com

ISBN 978-99966-59-58-4
9 789996 659584

Tel.:+965 - 22256147 Fax: +965 - 22256142
P.O.Box: 20585 Safat Postal Code: 13066 Kuwait
Info@aafaq.com.kw www.aafaq.com.kw

Aafaq BOOKSTORE
مكتبة آفاق